روايات عبير

www.elromancia.com
مرمورية

حب بلا مقابل

شارلوت بوتشستر

٣٠٨

روايات عبير

N 308

"لست بمثل هذا التغفيل"

وبدت "روز" مقتنعة تماماً وهي تستطرد :

- "لن أسمح لنفسي بالتخاذل"

لقد تعلمت "روز" الدرس منذ أمد بعيد، وها هي تسيطر الآن على عواطفها بيد من حديد، إلى أن دخل "جوردان جريفين" في الصورة، فبدأ الوهن يتسرب إليها. لقد كان قبل شيء، غاية في الجاذبية، وهذا جزء من المشكلة.

ما الذي يمكن لموسيقي بوب شهير أن يراه فيها ؟ لا بد أنه يسلي نفسه على حسابها.

www.elromancia.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٤ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢,٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال

Canada	6 $
U.K.	2 £
U.S.A.	4 $
Greece	1500 drs
Cyprus	2 £
France	20 Fr.

قال "جريف" في صوت عميق ساحر :

- " استرخي "

واضاف : " إنك فتاة جذابة " وكانت المقاومة امرا صعبا وجفلت "روز" بعيدا عنه :

- " إياك ، إنني اكره هذا النوع من التملق " وظهر وميض من الضيق في عينيه ، وقال مقرعا إياها دون مجاملة :

- " إني لا اتملقك فلست جميلة بالتاكيد ، ولم اقل ذلك . ولكنك لست محتاجة ايضا لذلك .. إن تاثيرك على الرجال لا شان له بجمال الوجه "

واحست بوجنتيها تتوردان ، فاشاحت عنه بسرعة :

- " إني .. إني لا اعرف ماذا تقصد . "

وضحك بعذوبة :

- " احقا ؟ لا اعتقد اني الوحيد الذي اشعر بذلك .. إنه كاللهيب داخلي "

وامتدت يده ببطء وراء ظهرها ، وضمها ضمة ابعد ما تكون عن الحياء .

شخصيات الرواية

"روزالين هاموند" : كاتبة قصصية.
"چوردان جريفين" : موسيقي مشهور.
"آني اوسبورن" : صديقة "روزالين".
"ستيفاني ريفز" : مغنية مشهورة .

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

مقدمة

الجمال ليس امرا يقاس ، بل هو امر يحس . فليست معايير الجمال مقاييس جسدية ، او الوانا براقة ، او طريقة تحدث ، او اسلوب غزل.واكثر الناس إحساسا بهذه الحقيقة ، هم اكثرهم انغماسا في هذا النوع من الجمال الحسي .

ومن كمغن مشهور ، سحر المراهقين والمراهقات ، اكثر انغماسا في مثل هذا النوع من الجمال ، يطارده ويحاصره في كل مكان ؟

ولا تجد بطلتنا ، التي تعتبر نفسها عاطلة عن اي جمال ، نفسها جديرة بان تجذب انتباهه ، او ان تحول بصره عما حوله من مفاتن .

وحينما شعرت ان شيئا من هذا القبيل قد حدث ، راحت تتخيل مبررات واسبابا تفسر بها هذا اللغز الذي بدا محيرا لذهنها ..

حتى اقنعها بطلنا بانها مخطئة في كل ما اعتقدته ، وان الجمال الحقيقي ، هو ما تضمه بين جوانحها .

الفصل الأول

" سيكون تساقط الثلج اغزر في الشمال ، واغلب الطرق في منطقة بنيس مغلقة . وتوصي الشرطة السائقين بان يظلوا في منازلهم ، ما لم تكن رحلاتهم لضرورة ملحة . "

وتمتمت "روز" وهي تغلق المذياع :

- " شكرا لك " . لم تكن الأحوال سيئة على الطريق السريع بدرجة كبيرة ، حينما بدأ تساقط الثلج عند "دربيشاير" . ولكن ما أن تحولت عن الطريق السريع حتى بدأت الأحوال تزداد سوءا ، وها قد حل الظلام كان من المفروض أن تكون قد وصلت إلى منزلها الآن - حيث لم تتعطل بها السيارة هذه المرة .

كم مضى على هذه السيارة من الوقت دون صيانة ؟ واعترفت "روز" لنفسها بخجل أن ذلك كان لمدة طويلة . لقد آن الأوان لاستبدالها بواحدة ذات جهاز تدفئة افضل على الأقل .

ورغم ذلك فقد كانت تشعر بالدفء وهي متدثرة بسترتها كثيفة الصوف العملية الطراز ، وطاقيتها الصوفية المسدلة على اذنيها ،

وأما يداها القابضتان على عجلة القيادة فكانتا دافئتين داخل القفاز القديم المشغول بالإبرة ، والذي عثرت عليه بعد ان كان قد سقط خلال ثقوب سترتها وظل مختبئا داخل حشيتها لسنوات .

لقد كان الأجدر بها ان تظل في لندن ، حيث تعيش إحدى رفيقات مدرستها القدامى . وكان يسعدها ان تستضيفها . ولكنها كانت متعجلة لأن تعود لبيتها ، فهي لا تحب لندن حتى في افضل اوقاتها ، ولم تذهب إلى هناك إلا لتتناول الغداء مع ناشرها ، احتفالا بنشر رابع رواية لها ، رواية سياسية مثيرة تدور حوادثها داخل بلاط الملكة إليزابيث الأولى المليء بالدسائس والمؤامرات وكانت قد استوحت هذا الصباح من إحدى الصحف فكرة روايتها القادمة ، وها هي خطوطها العريضة تتشكل في مخيلتها .

وفجاة ، لاح شبح شامخ في ضوء كشافات سيارتها فضغطت على الفرامل بقوة ، فتارجحت السيارة على الجليد . لقد كان واضحا انه قد وقعت حادثة ، فقد كان واضحا مؤخرة سيارة فاتحة اللون متنحية عن الطريق شبه مدفونة في الثلج ، وندف البَرَد المتساقط مستمر في تغطيتها . وكبحت "روز" مشاعر نفورها من الغرباء ، وانحنت لتفتح باب السيارة الأيمن . ودخل متصلبا ، وغمغم بعبارة شكر في صوت غليظ من البرد . كان يحمل حقيبة سفر جلدية القاها في مؤخرة السيارة . وقبل ان يغلق الباب وراءه كانت قد اخذت انطباعا عن هيكل طويل ، في معطف اسود ، اهو من جلد الخراف؟ وشعر مبتل وقد رفع ياقته للوراء ليكشف عن جبهة تنم عن الذكاء .

وبدات "روز" تقود السيارة بحرص ، وفي هذه الاثناء كان مرافقها قد نزع قفازه عن يديه ، واخذ يحاول تدفئتهما على جهاز التدفئة ضعيف القدرة ، رمقتهما "روز" بنظرة سريعة . كانتا يدين بديعتين ذواتي اصابع رشيقة ، ورسغين قويين ، تحيط باحدهما ساعة جعلتها تردد النظر إليها . وذلك لانها من ارقى طراز معروف ، او تقليد متقن لها .

و انتهت اخيرا إلى انها لو انتظرت ، ان يبدا هو الحديث ، فستنتظر طوال الليل .

فسالت في نبرة ودود :

- " كم مر عليك وانت متعطل ؟ "

- " ربما عشر او خمس عشرة دقيقة ، ولكن مضت كانها ساعات " .

كانت اللهجة امريكية . ما الذي يفعله امريكي ثري في براري يوركشاير ؟ فالموسم ليس سياحيا على الإطلاق . وسالته :

- " ما الذي حدث لسيارتك بالضبط ؟ وهل اصبت ؟

قال :

- " لا ، لم اصب إني لم ار المنحنى " . قالت :

- " إنها ليلة سيئة لأن يسافر الإنسان فيها في طريق لا يعرفه . والجو هنا شديد التقلب ، لحظة مشمس ، ثم سرعان ما يهبط الضباب او الجليد ، ويتوقف كل شيء . "

قال وهو يتلاعب بصوته :

- " أعتقد انكم معشر البريطانيين مسرورون لذلك ، فانتم لا تعملون شيئا سوى الحديث عن الطقس " .

يا له من سائح ملعون ! وشعرت بالحنق ، ولم تحاول مجاراته في مزاحه . وركزت كل حواسها علي الطريق . كان الجليد لا يزال يتساقط خفيفا ، والريح تدفع بالثلوج إلى حجارة الرصيف . وكانت قد قضت عمرها بين مروج يوركشاير ، وتعرف كل شبر في المنطقة ، بل ويمكنها ان تستمتع بما حولها .

وبدا القلق يستولي على الجالس بجوارها وسال :

- " سيدتي ، لو سمحت لي بالسؤال ، هل من الضروري ان تقودي بهذه السرعة ؟ " قالت له مؤكدة :

- " لا عليك إنني اعرف الطرق هنا كراحة يدي . واريد الوصول لمنزلي قبل ان يزداد الجو سوءاً " .

- " او... ه ، إذا كان الأمر سواء بالنسبة لك ، فانا اود ان اصل إلى منزلي واحدة واحدة " .

قالت وقد وخزتها كلماته :

- " ماذا بك ، الا تثق في قيادتي ؟ " فهز كتفيه قائلاً بوقاحة :

- " لست مغرما بان اصاحب السيدات في قيادتهن . "

تبا له ! وردت عليه بنبرة لاذعة :

- " أؤكد لك أنك في أيد أمينة ، فأنا أقود السيارات منذ سنوات لم أعمل خلالها حادثة واحدة" فرد متناغما بصوته في تكاسل :

- " حسنا ، قد يكون هذا مطمئنا ، ولكن بالتأكيد لم تكن سنوات طويلة . فكم عمرك ؟ اثنان وعشرون ، ثلاثة وعشرون ؟ "

فردت عليه ببرود :

- " بل سبعة وعشرون " .واجتزت امتحان القيادة وأنا في السابعة عشرة ! وإذا لم ترق لك قيادتي ، فلك في أية لحظة أن تنزل وتمشي "

وكان الغضب قد بدأ يظهر في لهجتها ، فإذا كان هناك شيء لا تتحمله، فهو الغطرسة بالنسبة لما يسمونه " بالمرأة مكسورة الجناح " . كانت تقف ضد هذا الاتجاه بكل عنف، فهي تعيش في قرية من قرى مقاطعة "يوركشاير" ، حيث لا يزال الرجال يفكرون بعقلية القرن التاسع عشر .

ويبدو أن مرافقها قد وجد في غضبها شيئا مسليا ، فقال وهو يتلاعب بصوته :

- " لا ، لن افعل شيئاً من ذلك ، ثم إنك لا باس بك حتى الآن " .

ولم تتمكن من مقاومة أن تذكر له :

- " ثم من الذي دخل بسيارته في المنحدر الثلجي ؟ "

فانطلق مقهقها :

- " واحدة بواحدة ! حسنا يا سيدتي ، قودي أنت ، وساغلق فمي

لقد كان له في الواقع صوت جميل ، عميق ورخيم بقدر كبير ، وسمحت لنفسها بالاسترخاء قليلا ، وسالته :

- " وإلى أين أنت ذاهب على أي حال ؟ "

- " انا متوجه إلى مكان يدعى أرنبي بردج "

- " أرنبي بردج ؟ " وسمحت لنفسها أن تختطف نظرة إلي وجهه :

ما الذي تريده من أرنبي بردج بحق السماء ؟ "

وابتسم لاندهاشها :

- " لقد اشتريت لتوي منزلا هناك " .

- " إذن فهو أنت ! " قال :

- " إذا كنت تقصدين منزل بريوري ، فهو انا "

ثم رفع حاجبيه في تساؤل :

- " هل لديك مانع ؟ "

وسالته وقد نسيت ما هي عليه من تحفظ :

- " وما حاجتك إليه ؟ " قال :

- " أسكن فيه بالتأكيد "

من الواضح أن الرجل لم ير المنزل ! وقالت محذرة :

- " إنه لم يسكن من سنوات "

- " أهو مسكون ؟ " فردت :

- " مسكون ؟ بالتأكيد لا "

- " يا للأسف ! " وضحكت ضحكة مجلجلة :

- " وما حاجتك للأشباح بالله عليك ؟ "

- " لكي أفزع الضيوف غير المرغوب فيهم "

- " ولماذا لا تطلب منهم ببساطة أن ينصرفوا ؟ " فضحك بسخرية قائلا :

- " بودي لو كان ذلك ممكنا "

لقد كانت شخصية المشتري الغريب حديث القرية لأسابيع، وسالته :

- " ولماذا اخترت أرنبي بردج بالذات بل كيف سمع بها أمريكي مثلك أصلا؟"

- " إن أجدادي من المنطقة هنا ، وقد هاجر والدي وهو طفل صغير ، ولكن حب يوركشاير لم يفارق قلبه على الإطلاق ، ولم يتوقف عن الحديث عنها . ولذا فحينما قررت أن أنقل مركز أعمالي ، كان طبيعيا أن أفكر في هذه المنطقة . "

- " لست أدري إذا كنت ستستقر على نفس الراي حينما تراها إنها بعيدة عن أي طريق مطروق "

- " حسنا في الأوقات العادية ، لدي الهيلكوبتر للتنقل " .

قال هذا بطريقة عفوية ، كما لو كان التنقل بالطائرات الخاصة أمرا عاديا للغاية وأخذت نفسا عميقا ، محاولة أن تبدو كما لو كانت لم تنفعل ، وسالت بطريقة تلقائية :

- " ألن تجد زوجتك المنطقة موحشة حينما تكون بعيدا ؟ " ورد عليها وصوته يفيض بالسخرية :

www.elromancia.com

- " كلا يا سيدتي ، فانا غير متزوج " .

واثارتها نبرة صوته ، كما لو كان يتصور انه كان يعنيها الأمر ! وجازفت بلمحة اخرى ، وكان قد انزل ياقة معطفه ، وبدا وجهه واضحا .

كان وجهه وسيما بدرجة ملحوظة . وكان شعره قد جف قليلا ، ولكنه لايزال اسود في معظمه ، قصيرا ، ويتهدل إلى حد ما على صدغيه ، معطيا تاثيرا اكبر للتماثل في هيكله ، كانت هناك لمحة غرور لا تخفى من جمود فمه ، ولكن هناك ايضا قدر كبير من الجاذبية . ولم تتمكن من رؤية عينيه ، ولكنها كانت متاكدة من انها ترقبهما بثبات .

وسرت حمى خفيفة في اوصالها ، فابعدت بسرعة نظراتها عنه ، فاخر شيء تود هو ان يدرك هذا الغريب انه اثر عليها باي قدر من التاثير ، لقد تعلمت منذ وقت طويل ان تحذر ذوي الجاذبية من الرجال ... تعلمت بطريقة غاية في القسوة .

لم يكن لديها اي خداع حول افتقارها إلى الجمال . لقد كانت ذات وجه ممن يطلقون عليه " ملفت للنظر " ليس فيه ما يتسق مع غيره .. الأنف غاية في الطول والفم غاية في الاتساع ، وكم كانوا يعيرونها في المدرسة لطولها ونحافتها .

ولكنها لم تكن تلقي بالا لذلك ، لم تعد تلقي بالا . لقد تصالحت مع نفسها على ذلك، ولديها الآن اشياء اكثر اهمية مما يقوله الناس عنها. وقالت لرفيقها بادب وهي تنفض عنها ذكرياتها :

- " هل تشعر بالدفء بما فيه الكفاية ؟ "

- " بصورة طيبة ، شكرا لك " وارتاحت ان وجدته قد كف عن النظر إليها ، فاسترخت بظهرها للوراء واستطرد يقول :

- " انا معترف لك بإنقاذ حياتي من التجمد في البرد " .

فضحكت قائلة :

- " لقد كان من شان هذا ان يحدث قدرا كبيرا من الإثارة ، التي اثارتها بالفعل شخصية ذلك الذي اقدم علي شراء بريوري ، وان القوم ليتحرقون شوقا لمعرفته . وقد كانت هناك تخمينات ان المكان سيتحول إلى مصحة "

- " حاشا لله ! "

- " واخرى بان المشتري هو إحدى الجماعات الدينية التي تمارس طقوسا غريبة "

ورمقته بنظرة قلقة :

- " إنك لست منهم ، أم تراك كذلك ؟ " فانفجر مغرقا في الضحك قائلا:

- " كلا ، لست كذلك " .

قالت :

- " لماذا كتمت الأمر سرا ، فاثرت كل هذا الغموض ؟ "

- " إنني ارغب في الحفاظ على حياتي الخاصة "

وأومات ، فهذا امر تدركه جيدا ، وسالته :

- " هل رايت المنزل فعلاً " قال :

- " كلا ، باستثناء بعض الصور . كم من الخرائب كما يبدو فيها . ولكن معلوماتي ان البنائين قد قاموا بمجهود طيب في الترميمات ، ولا اعتقد اني ساواجه مصاعب "

- " ولكنك لن تعمد إلى إفساده على ما اظن ؟ "

- " إطلاقا . ساحافظ على ملامحه الأصيلة بقدر الإمكان . لقد عانى المكان من تغييرات سيئة بالفعل في الماضي . ولكن لابد لي من إدخال بعض مستلزمات الرفاهية التي لا نستغني عنها معشر "اليانكي" ثم قال في لهجة ساخرة كالتدفئة المركزية مثلا "

- " تدفئة مركزية ؟ ! " وتنهدت في حسد ، متذكرة كوخها المتهالك . وسالها بقصد إغاظتها :

- " هل هذا مسموح به ؟ "

- " اعتقد ذلك "

ورمته بنظرة سريعة مبتسمة ، فرد عليها بابتسامة جعلت قلبها يرقص بين جوانحها كانت ابتسامته ذات سحر لايقاوم ، وفي الحيز الضيق للسيارة بدات تحس بحضوره الطاغي . وابتلعت ريقها بصعوبة ، تجاهد ان تخفي رد فعلها ، ولكنها كانت تشعر بانه لا يزال يراقبها واخذ الهواء بينهما يشحن بالكهرباء .

www.elromancia.com

ويبدو انه قد شعر بما صارت عليه من توتر ، فسالها ، وفي صوته رنة من السرور كما لو كان عالما بحقيقة امرها :

- " ماذا هناك ؟ "

وتمكنت من ان ترد :

- " لا .. لا شيء .. بالمناسبة ، نحن لم نتعارف بعد فما دمنا قد اصبحنا جيرانا ، لا يمكن ان استمر ادعوك " انت " فاقرها بنبرة فكاهة غريبة :

- " بالتاكيد لا .. حسنا . إن اصدقائي يدعونني " جريف " "

جريف .. نعم اسم مناسب له ، ورمقته بنظرة سريعة متخابثة ، إنها تتخيله تماما ، مهما كانت طبيعة عمله فهو شخص صعب المراس .

وقالت :

- " وانا " روز " ، إنه في الواقع روزالين ، اسم اختاره لي ابي ولكني لا احبه "

- " لماذا إنه اسم جميل مستوحى من ادبكم الإنجليزي " فاندفعت في دهشة:

- " اراك مطلعا على ادبنا الإنجليزي "

- " لسنا محرومين من الثقافة في لوس انجلوس "

- " اوه ، لم اقصد .. ارجو الا تكون .. "

وعاد للضحك مرة اخرى :

- " لا عليك "

ولدهشتها ، وجدت نفسها قد بدات ترتاح إليه ، كانت له جاذبية مريحة وراحت تحذر نفسها ، حذار ياروزالين ، فلم تعودي طفلة ، ولا يمكن ان تعتذري بالسذاجة الآن .. كما كنت من عشر سنوات "

ربما لو ان والدتها كانت علي قيد الحياة .. ولكنها ماتت وهي في الحادية عشرة وكان والدها معزولا تماما عن الحياة العصرية . كان رجلا اكاديميا مرموقا ، يعيش في القرن السادس عشر اكثر من العشرين . كان يبلغ في حبه لابنته حد الهيام ، ولكن بصورته الخاصة الغامضة ، ولم يكن مؤهلا بالمرة لان يعدها للحياة الواقعية .

وحينما بلغت السابعة عشرة ، كان قد استقر في يقينها ان ليس فيها ما يجذب الجنس الآخر ، وعلى ذلك فحينما بدا " ستيوارت كوبر " يبدي لها قدرا متزايدا من التودد ، دارت راسها ، وهامت به ... شانها في ذلك شان كل رفاق فصلها الدراسي .

وكانت له فريسة سهلة ، كان يعدها بوعود زائفة ، وهي تصدقه وكان يستمع لها بشغف وهي تدخل عالمها من الأوهام ، وهما يتبادلان الغرام في امسيات الصيف الدافئة ، حيث كانت ترى نفسها الملكة إليزابيث الأولى ذات الشعر الاحمر وعشيقها لورد إسكس النبيل .

ولم تكن تجد في ذلك امرا بذيئا او خاطئا ان تتجاوب مع رغباته في تلك الأمسيات ، لقد كانت سعيدة ، سعيدة إلى اقصى حد وهي تبني معه قصور الأحلام ، إلى ان كانت تلك الأمسية اللعينة ، ليلة الاحتفال بالحصاد وفي فناء الكنيسة . ليلتها تجاهلها تماما ، وظل يراقص " تاي ماكينزي " طوال الأمسية ، بينما هي تلاحقها ضحكات الأولاد الآخرين المكبوتة ، بل ان احدهم قد رماها بملاحظته الساخرة :

- " هاي ، ايتها الملكة إليزابيث " فرد آخر ساخرا :

- " لم تعد هي بالملكة إليزابيث ، فالملكة إليزابيث الأولى كانت عذراء ".

وفرت ليلتها إلى منزلها ، تتقلص امعاؤها بالغثيان ، لقد ظهرت لها الحقيقة فجاة ، إنه لم يحبها قط ، لقد كان يستغلها للزهو على اقرانه ، واخذ بها الكدر ماخذه ، حتى وجدت نفسها عاجزة عن مواجهة زملائها بعد ذلك . وتركها والدها تتخذ قرارها ، رغم قلقه وعدم فهمه للدوافع التي تؤدي إلى تضحية ابنته بالدراسة الجامعية فيما بعد .

عشر سنوات مرت و لكن الذكرى لا تزال تعاودها ، كشيء سيء المذاق في فمها ، ولكن ما من محال لأن تعيش في ذكرياتها الآن ، وعادت " روزالين " بنفسها إلى حاضرها ، واخبرت رفيق سفرها :

- " سنصل حالا ، سنمر توا على ثلاثة محال ، ثم الكنيسة ، ثم الحانة ، حيث لا يسمح للسيدات إلا في مساء السبت ، اعتقد انك ستجد الجو مالوفا لك تماما في قريتنا "

- " حقا ؟ وكيف ذلك ؟ "

فردت بجراة وقحة :

www.elromancia.com

- " نعم ، وسط امثالك من الخنازير الذكور المتعصبين ضد المراة " .

- " وما الذي يدعوك للاعتقاد بانني خنزير ذكر متعصب ضد المراة ؟"

- " أولست كذلك ؟ " فقال بنغمة مغيظة :

- " لا اعتقد ، كل ما في الأمر اني اعتقد انه على المراة ان تعرف مكانها بالضبط "

- " مقيدة في حوض الغسيل ، اليس كذلك ؟ "

- " لا ، ليس لحوض الغسيل " وانبات نغمة صوته الهادئة بما يقصد بالضبط واشتعلت وجنتاها بالغضب ، وحمدت الظلام ان اخفى ما شعرت به من آلام ، واخذ قلبها يدق محذرا ، وقد عاودتها ذكرى "ستيوارت كوبر" ، اول من ابتسم لها .. وما ادت إليه تلك الابتسامة .

وكان " جريف" لا يزال يراقبها ، ثم مد يده ولف خصلة من شعرها على إصبعه قائلا :

- " يا له من شعر جميل ، لم ار مثل لونه في حياتي " فجذبت راسها بعيدا وهي تنهره :

- " إياك ! " فسالها ، مشدوها بهذا الانفعال المغالى فيه :

- " ماذا بك ؟ "

فردت باقتضاب وتوتر :

- " لا شيء ، ولكن لا احب ان يلمسني احد "

فعاد لوضعه الأصلي في جلسته وقال :

- "فلتهدئي يا سيدتي ، لقد لمست شعرك فقط ، ولم احاول ان اغتصبك " .

وأطبقت يديها على عجلة القيادة حتى انت من الألم . إنها تعرف ان رد فعلها كان مغالى فيه ، وانها بدت فيه حمقاء وساد بينهما صمت طويل مثقل بالحرج، واخذت تبحث عما تقوله وقد اسفت لضياع الحديث الودي بينهما ، واخيرا قالت:

- " انظر ها قد وصلنا ، اترى الأضواء التي على البعد امامنا ، إنها اضواء "بريوري " ، فوق التل بعد القرية ، إلى اليسار " .

وسالها :

- " وانت هل تعيشين هنا ؟ " قالت :

- "في نفس هذا الجانب من النهر ":

فقال:

- " إنه كرم منك ان تخرجي عن خط سيرك من اجلي " وهذه المرة ، لم يكن هناك اثر للسخرية في حديثه .

وردت مبتسمة :

- " لا باس ، فالأمر لا يستغرق إلا دقائق بهذه السيارة " .

كان الثلج قد توقف ، واخذ القمر يتسلل من خلال السحب ، يغشى الوادي باكمله بضوئه الفضي ، وكانت المروج على جانبي الطريق مترامية الأطراف ، مغطاة بغطاء ابيض كثيف ، وكان يتخلل تلك المروج الحوائط الحجرية السوداء .

ومرا على كوخ صغير ، منعزل خلف حديقته الأمامية الطويلة ، وبعده بعدة مئات من الياردات ، جسر مقوس يعبر النهر السريع الجريان ، وبعده الشارع الرئيسي للقرية ، والذي ينحدر إلي ساحة الكنيسة .

وكانت منازل القرية من الحجر الرملي الأسود تحف بالطريق إلى مسافة لاباس بها خلف حافتيه المليئتين بالعشب المكسو بالثلج . وكانت الأضواء الدافئة تشع من اغلب نوافذها . وكان بمقدور "روز" ان تخبر "جريف" باسم كل قاطن فيها ، وابنائهم واعمامهم وخالاتهم ، بل وحتى ارائهم في الأمور المهمة . ورمقته بنظرة سريعة اخرى . ماذا سيكون رايه في هذا المجتمع المترابط ؟ وماذا سيكون رايهم فيه ؟ إنهم لا يتقبلون الأغراب بسهولة .. فهل اخذ هذا في الحسبان حين قرر اختيار هذا المكان النائي ليستقر فيه ؟ لقد كان تصرفا غريبا ان يهجر موطنه الأصلي وينتقل عبر نصف الكرة الأرضية ليختار قرية غاية في الضالة لم يرها من قبل . فما الذي دفعه إلى ذلك ؟

وعند تفرع الشارع امام الكنيسة ، كانت المحال الثلاث ، ثم الحانة التي اخبرته عنها ، وكان الطريق إلى اليمين يقود لبعض المزارع ، والذي إلى اليسار يصعد التل إلى بريوري .

لقد كانت له بوابة ضخمة ذات يوم ، ولكنها نزعت لتصهر اثناء

www.elromancia.com

الحرب . كان منزلا عتيقا وجميلا ، بني من نفس الأحجار الرمادية الصلبة التي بنيت بها منازل القرية . وكان بناؤه على الطراز المعماري للقرن الثاني عشر اغلب اجزائه مغطاة الآن باللبلاب . كانت نوافذه ضيقة، وبابه من خشب الزان السميك يقف شامخا خلف شرفة مغطاة بالعقود المعمارية . وكان جناح من المنزل لا يزال مغطى بسقالات البنائين وكان يشع من فوق الشرفة ضوء من إحدى النوافذ مرحبا .

وكان المدخل يرقد تحت غطاء ثلجي لم يطاه احد بعد ، قد يبلغ ست بوصات سمكا وسحقته إطارات السيارة وهي توقفها قائلة بمرح :

- " ها قد وصلنا ، ما رايك ؟ "

وأخذ يتامل المنزل مستغرقاً في التفكير لعدة دقائق ، ثم قال :

- " إنه عتيق فعلاً "

- " إنه يبلغ الثمانية قرون عمرا " فرماها بإحدى ابتساماته الخطيرة وقال :

- " ابهذا القدر من القدم ؟ حسنا ، هل لي ان ادعوك لقدح من القهوة؟"

وقالت مترددة ، لا تستطيع ان تتبين المقصود من هذه الدعوة :

- " كلا .. إنني محتاجة للراحة بعد هذه الرحلة الشاقة من لندن ، شكرا لك " وتمنت الا يكون صوتها قد نم عن انفعالها . ولم يبد عليه انه اساء لرفضها ، وقال :

- " حسنا . ربما مرة قادمة ؟"

- " بالتاكيد ؟ " وخرج من السيارة ، والتقط حقيبته ، ومد لها يده ، فاودعتها يدها تلقائيا . ولكنه لم يهزها كما توقعت ، بل رفعها لفمه وطبع قبلة نبل مصطنع على القفاز . وفي ضوء صالون السيارة امكنها ان ترى عينيه لأول مرة . كانتا غاية في السواد ، اشبه بسواد الخطيئة ، نفاذتين بصورة عجيبة . وشعرت بانفاسها تتلاحق وهي تحملق في عمقهما الذي لا يسبر غوره .

وقال برقة :

- " اورفوار ، روزالين الجميلة " .

وانقشع سحره حين اغلق الباب ، واطفئت انوار الصالون ، ورمشت عينا روز وهي تلتقط انفاسها ، ثم دفعت بعصا السرعة للوضع الأول،

وبدأت إطارات السيارة في الحركة في شيء من الحدة .

وكان كوخها مظلما باردا جدا. وما إن فتحت بابه حتى لامس كاحليها جسد من الفراء لذيذ الملمس ، فانحنت والتقطت قطتها وضمتها لصدرها قائلة :

- " هاللو سنيدرز ، أتتجمدين هنا أيتها المسكينة ؟ ولكني لن أحاول تشغيل النار الآن . فلنتناول قدحا من القهوة ، ونخلد للنوم ، هم ؟ "

وماءت القطة موافقة وهي تمط جسدها وتتثاءب برقة وروز تاخذها للمطبخ . وظلت مرتدية معطفها وهي تضع القدر على النار . تدفئة مركزية .. ربما تفكر الآن في شيء من مستلزمات الرفاهية هي الأخرى، وقد بدأت تربح بعض الشيء من كتبها . لقد قضت في كوخ هيثر طوال عمرها . وقد يراه البعض منعزلا ، ولكنها تفضله هكذا . لقد قضت فيه طفولة سعيدة ، حتى بعد وفاة والدتها . لم تكن تحب أي شيء أكثر من التجوال بين المروج مع ابيها ، او ان تجلس معه امام المدفاة وهو يقص عليها اقاصيصه التاريخية .. قصصا عن بحارة إسبان جسورين ، ومغامرات مثيرة ، ملهبة للخيال .

وأصبح والدها طاعنا في السن ، تنتابه الأزمات القلبية ، أولها بعد الليلة المشئومة بقليل ، وأخذت تمرضه لسبع سنين ، حتى وهن العظم منه ، وأصبح يعيش كالراهب وسط شخصياته التاريخية المثيرة التي بعثها امامها للحياة وحينما توفي منذ ثلاث سنوات ، نصحها بعض أصدقائها ببيع الكوخ ، والانتقال إلى مدينة يورك اولندن ، ولكنها لم تشا . وفي تلك الأيام كانت قد كتبت قصتها الأولى ، وقبلها الناشرون.

إنها تحب ان تعيش وحيدة ، تصنع ما تشاء ، حينما تشاء . كانت عندما تخلو لنفسها للكتابة ، أحيانا ما تنسى نفسها امام الة الكمبيوتر طوال الليل ، ولا تنهض للنوم إلا قرب الظهيرة . بينما قد تستيقظ في أيام أخرى في السادسة وتخرج للتجوال في المروج وقد ظن بها كثير من الفلاحين شيئا من الخبل ، ولكنها لم تكن تهتم بذلك . وكانت تتخيل نفسها على نفس الصورة حتى الخمسين من عمرها ، عانس غريبة الأطوار تتجول مع قطتها السوداء .

وقالت تخاطب قطتها وهي تصب الشاي

www.elromancia.com

- "أعتقد انك تريدين شيئا من اللبن " ومرة أخرى ، أبدت القطة موافقتها واضحة، وأخذت هي تتمعن فيها وهي تلعق اللبن ، ثم قالت:

- " المفروض أن تجلبي لي الحظ ، اتعلمين هذا ؟

حسنا ، إنني أربح من كتبي ولا أتذمر من هذا . ولكن أحيانا تنتابني الرغبة لو كان عقلي كسولا ، ووجدت تلك الجنية الساحرة التي تحيلني إلى فتاة جميلة؟

ورفعت القطة عينيها فيها في دهشة خفيفة. فضحكت بخجل وقالت:

- " ما هذا الذي أقوله ؟ لقد بدأ رأسي يدور ، هيا بنا إلى النوم " .

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

الفصل الثاني

فتحت "روز " عينيها واشعة الصباح الباردة تغمر حجرتها متسربة عبر الستائر و أخذت ذكريات أحلامها ، تطاردها وهي تستيقظ ، ولكنها بحزم ابعدت تلك الأحلام عن المالك الجديد لـ " بريوري " ، وهرعت إلى الحمام وهي ترتعش من البرد. وبعد استحمام سريع ، ارتدت بعض الملابس الثقيلة واسرعت إلى المدفأة الحجرية الضخمة ، لتوقد فيها النار . وصنعت لنفسها إفطارا سريعا ، ثم خرجت تتطلع خارج الكوخ . كان الثلج قد تساقط غزيرا أثناء الليل ، والريح قد دفعت بالثلج إلى بابها . وما إن فتحته حتى فوجئت بساتر ثلجي يبلغ ارتفاعه ثلاث أقدام فتنهدت إذ رأت أن عليها أن تشق لنفسها طريقا إلى الخارج ، واستدارت إلى دولاب أسفل السلم للبحث عن جاروف واستغرق شق الطريق نصف ساعة من العمل الشاق ، وقفت في نهايتها تلهث مستندة على الجاروف ، محمرة الوجنات ، حينما سمعت صوتا ساخرا يهتف بها :

- "صباح الخير ، يبدو أنك عملت بكل جد اليوم " فاستدارت بسرعة.

- " أوه " اللعنة ما الذي أتى به الآن بالذات ، ووجهها بهذا الاحتقان، وشعرها في تلك الفوضى ؟ كان يهبط من سيارته الرشيقة الفضية والتي ينبئ أثر التصادم الخفيف في مقدمتها عن انها نفس سيارة الأمس ، وتمكنت من ان تجيبه :

- " لقد .. لقد تمكنت من إخراجها إذن ؟ " وبدا صوتها غريبا في إجهاده على اذنيها .

- " نعم ، شكرا . لقد ساعدني أحد الفلاحين في جذبها " وابتسم تلك الابتسامة الزائدة في الجاذبية وقال :

- " اهو قديم قدم بريوري ؟ "

- " كلا ، على الإطلاق ، ويؤسفني انه في أمس الحاجة للصيانة " وكان الحرج قد تملكها لمنظر واجهة الكوخ التي تهاوت بعض أجزاء من طلائه ، والنوافذ التي بهتت الوانها وتقشرت اطرها .

- " نعم ، أرى ذلك "

فقالت متحججة :

- " ليس من السهل ان يحضر العمال إلى هنا . على العموم ، ساقوم بطلائه بنفسي الصيف القادم . لقد كنت انوي ذلك الصيف الماضي ، ولكني كنت جد مشغولة فنسيت"

- " الا يمكن أن تسالي أحدا من رجال القرية المساعدة ؟ "

- " إنهم لن يتاخروا عن مساعدتي لو طلبت ذلك منهم ، ولكني لا أريد أن أكون عبئا على أحد " ولم ترد أن تضيف انها لا ترغب ان تعطي الرجال مزيدا من الإقناع بعجز النساء عن تدبير أمورهن بانفسهن ، فهي تعتقد أن جريف في نفس الخط .

وسالها :

- " اتعيشين هنا بمفردك تماما ؟ " فقالت وهي ترفع راسها بالزهو :

- " بالتاكيد " ورفع حاجبا في دهشة :

- " ولماذا بالتاكيد "

- " ومن تظن اني اعيش معه ؟ "

- " الاحتمال الاقرب هو الزوج . "

وجدت نفسها تحمر خجلا ، وقالت بشيء من عدم الارتياح :

- " إنني غير متزوجة " .

إنه سيظن انها عانس محبطة على استعداد ان تقع في حب أول من يتلطف معها . وانتابها شعور جامح بالرغبة في الهرب من الموقف ، فقالت بعد جهد :

- " حسنا ، شكرا على مرورك ، ومبروك ان لم تصب سيارتك بسوء " وابتسمت تتمثل ثقة لا تشعر بها ، واستدارت لتدخل .

وناداها :

- " اهلا " روز " .. توقفي " ولكنها استمرت في سيرها متظاهرة بانها لم تسمعه ، لكنه لم يخدع واستدار وهو ينغم صوته في سخرية :

كما تشائين " ثم استدار متجها لسيارته وهو يكمل :

- " ولكني لاحظت تكدس الثلج على السقف ، واخشى الا يتحمل ثقله فينهار منزلقا في الفناء الخلفي . اعتقد أن الأفضل ان تنزليه في المشى " وعادت مسرعة لتنظر وصاحت :

- " أوه ، رباه ، نعم ، إنك على حق . وسيارتي في الفناء . من الأفضل أن أصعد له . "

ومد يده عارضا المساعدة لياخذ منها الجاروف :

- " هاتي عنك ، ساقوم انا بذلك . "

فردت بسرعة مؤكدة :

- " كلا يمكنني القيام بذلك ، ثم انه لن يتحمل وزنك " .

- " كوني على حذر إذن . اين السلم " .

- " لا املك واحدا ، ولكن الصعود سهل . انظر ، قدم على شرفة النافذة ، واتعلق في ماسورة الصرف . " وقرنت القول بالفعل ، تصعد ببطء وحذر حتى يمكن لغطاء السقف ذو طبقة البيتومين الرقيقة ان يتحمل ثقلها . ثم قالت :

- " ناولني الجاروف "

قال :

- " حسنا ، لقد قمت بذلك بمهارة " واعطاه لها . وقالت :

- " بالتاكيد . والآن ، ابتعد وإلا أصابك الثلج وخطا للخلف ، ومضت هي تزيح الثلج بحذر الى المشى تحتها بعد ان انتهت . ادركت ان

النزول لن يكون بمثل سهولة الصعود . واخذت تردد نظرها من حافة السقف ، وقدمها لا تصل إلى مرتكز آمن.

ووقف ضاما ذراعيه إلى صدره ، وقال متلذذا :

- " لقد ظننت انك ستدبرين امرك " فولولت في يأس :

- " لا تكن فظا ، هيا ساعدني " .

ومد ذراعيه اسفلها وقال :

- " اقفزي "

وشعرت بموجة من الحرارة تلفح بدنها ، ووقفت مترددة تحملق فيما تحتها . لم يكن السقف مرتفعا بدرجة كبيرة ، ولكنه بدا لها شاهقا ، ولم يكن امامها اي خيار في الواقع . وقال يشجعها في شيء من الضيق :

- "ستكونين آمنة " وقفزت وامسكها بيديه القويتين ، في ثبات كامل، وانزلها سالمة على الأرض ، ولكنه لم يرسلها على الفور ، وقال مقرعا في لطف :

- " انظري ، لم يكن امرا سيئا بالمرة "

وحملقت فيه ، تامل الا يلاحظ تردد انفاسها وغمغمت :

- " شكرا .. شكرا " فقال متناغما ، يطالعها بإحدى ابتساماته الملهبة للمشاعر :

- " بكل سرور ، والآن ، نحن متعادلان ، واحدة بواحدة ! "

- " نعم . " لم تكن تعرف ماذا تفعل ، خائفة ان تبدو حمقاء بان تسيء فهم تصرف بريء ، ولكن واعية انه لو اطال الإمساك بها ، فستتصرف بحماقة بلاشك وغمغمت وهي تحاول التخلص منه :

- " حسنا ، إنني .. لو سمحت .. "

وضحك ضحكة منخفضة التهبت لها مشاعرها ، وقال مقرعا :

- " ماذا بك ؟ إن اي إنسان يراك سيتصور انك خائفة مني . إنك ترتجفين كورقة شجر في مهب الريح " .

- لقد .. لقد قلت لك .. لا احب ان يلمسني احد . "

وكست وجهه مسحة من الضيق ، وغارت الابتسامة من وجهه ، تاركة عينيه جامدتين وباردتين ، وخلى سبيلها بحدة ، قائلا في

استهزاء :

- " اسف يا سيدتي : اراك فيما بعد "

- "بالتاكيد .. وشكرا لك " وشعرت بنفسها يتملكها الخجل ، فاستدارت بسرعة وجرت إلى المنزل ، صافعة الباب وراءها ، واستندت عليه-اللعنة ! لماذا تصرفت بهذه الصورة الغبية ؟ بالتاكيد سيظن انها ريفية بلهاء . "

وتوقف تساقط الثلج لعدة ايام تالية ، ولكن الجو ظل باردا . ورات "روز" ان عملها في الكتاب الجديد ليس على ما يرام . إذ بدا النبيل لورد إسكس ، بطلها اللاذع السخرية ، صاحب المؤامرات من عصر الملكة إليزابيث ، لسبب ما يتحدث بلهجة امريكية . كانت صورته قد وضحت امامها ، طويل اسمر ، شديد الجاذبية ، ذو ثقة بنفسه قوية.. ربما يبدا في ان يرسل شعره على صدغيه " اللعنة ! " واخذت تتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، حانقة على نفسها ان تركت افكارها تشتط بعيدا . ومحت الفقرات الأخيرة وهي نافدة الصبر . واخذت تحملق في العلامة الخضراء وهي تومض في انتظار يثير الأعصاب ، تطلب منها بتقريع أن تفكر في الكلمة التالية .

وصاحت فيها :

- " اوه ، عليك اللعنة! " واطفات الجهاز ، مرسلة عمل ثلاث ساعات إلى الفناء . آه لو كانت تستطيع ان تمحو ذكرياتها بهذه السهولة ، بالضغط على زرار ! وسحبت الغطاء علي الجهاز ، ونهضت إلي النافذة .

كانت الشمس ساطعة ، تلمع على الجليد . وفي ناحية القرية ، كان الأطفال يلهون عليه ، وخلفهم على مرمى البصر ، لاح السقف المرتفع لبريوري ، بحوافه الحجرية ، ومداخنه كريمية اللون . ووقفت مدة تحملق فيه ، وافكارها تسرح على غير هدى ، وافزعها ازيز التليفون عن شطحات خيالها ، فوقفت تحملق فيه مشدوهة .. لا يمكن ان يكون هو . ورفعت السماعة جذبا ، وهي تقول بصوت متهدج :

- " هاللو ! "

واطلقت زفرة ارتياح . كان يحب ان تتوقع "اني" ، من غيرها

سيطلبها عصر الجمعة ؟

-"هاللو "روز" ، انا "اني" ، كيف حال لندن ؟ هل قضيت وقتا ممتعا؟"

- " نعم اشكرك ، لم تكن الأمور سيئة هناك ، كيف حال الجنين ؟ "

قالت متهللة :

- " بدا يرفس . إن "بول" يقول إنه سابق لأوانه ، ولكنه لم يجرب الحمل. وقد طلبت "لوسي" مني ان اخرجه لها لتراه ثم اعيده لمكانه ! "

وضحكت "روز" . إن "اني" هي اعز صديقاتها منذ ايام الدراسة ، متزوجة بـ"باول اوسبورن " ، طبيب البلدة ، وهي زوجة سعيدة فخورة بطفليها ، والثالث المنتظر واستطردت "اني" :

- " على العموم ، لقد طلبتك لأطلب منك الحضور على العشاء باكر "

- " تطلبين مني انا ؟ "

- " نعم في الثامنة . واخرجي اروع ما في دولابك " قالت وهي تتمنى ان تتفادى الذهاب :

- " ليس عندي ملابس رائعة " قالت :

- " بل لديك . ما رايك في الزي الأخضر الضارب للزرقة الذي كنت ترتدينه في حفلة ثاي "

- " "اني" ، إنه الزي الوحيد الذي لدي ، وارتديه في كل مناسبة منذ عامين "

- " حسنا ، إنها غلطتك ، إن لديك الإمكانيات الآن لشراء ما تحتاجين إليه من ملابس راقية. كما انه لن يروق لي ان اراك قد حضرت في چينز إلى الحفلة."

ولم يكن في استطاعة "روز" ان تواجه اسلوب "اني" في صراحته الفجة . فضحكت قائلة :

- " حسنا ، لقد كسبت . ساحاول ان ابدو في احسن صورة . من ايضا سيحضر ؟ "

- " ابدا ، الوجوه المالوفة "

ولم يخف على "روز" رنة الانفعال في صوت "اني" ، ففاص قلبها في صدرها ومن المؤكد هو ان تكون "اني" اول من يدعو الجار الجديد للعشاء . فتساءلت في جفاء :

- " كذا ؟ كل هذه التوصية عن الملابس من اجل الوجوه المالوفة ؟ "

فرنت ضحكة "اني" وقالت مصرة :

- " احضري فقط ، باي " ووضعت السماعة قبل ان تتمكن "روز" من الاعتراض .

لم يكن اليوم الثاني ناجحا بالنسبة لاستئناف عمل "روز" . فمنذ ان فتحت عينيها في الصباح ، وذهنها مشغول بالعشاء المرتقب . وعلى الرغم من تانيب نفسها على بلاهتها ، لم يمكنها ان تركز التفكير . وبعد محاولات فاشلة ، انصرفت عن عملها في عصبية ، ووجهت طاقتها المتوترة إلى المطبخ في عملية نشيطة للتنظيف الشامل . وعملت بجد طوال اليوم ، وما ان انتهت حتى اعدت لنفسها حماما دافئا للاسترخاء . فغمرت نفسها بكمية وافرة من زيت الاستحمام ، ثم استرخت في الرغوة الخضراء واغمضت عينيها ، تاركة صفحة الماء ترطب جسدها وتهدئه .

لم يكن لديها ادنى شك في حضور "جريف" للعشاء . ولكن سيكون هناك الكثير من النساء ايضا ، وبالتالي فهي لن تجذب انتباهه في الغالب . ومع ذلك، فقد كانت ذكرى إمساكه لها بين ذراعيه تلح على ذهنها ، والنظرة المغناطيسية لعينيه . واخذت بلا وعي تمرر يديها على بشرتها الدافئة الناعمة ، لتداعب ثنايا جسمها وعقلها تائه في دنيا الأحلام .

وانتبهت لتجد ماء الحمام قد برد ، فقفزت بسرعة ، وجففت نفسها في حمية، إذ كانت الساعة قد قاربت الثامنة بالفعل . وقد كانت تنوي ان تصفف شعرها بعناية ولكن الوقت سرقها ، فاعملت فيه الفرشاة بسرعة ، وتركته يتهدل على خديها في تموجات . ثم زينت عينيها بمسحوق أزرق داكن ، ليظهر لونهما الأزرق الرمادي ، وكان هذا كل ما وضعته من مساحيق للزينة .

واسرعت تعطر نفسها ، ثم تلبس رداءها ، والقت نظرة اخيرة على المراة ، ولم تتمكن من كبت شعور بالسعادة لمنظرها - كان رداؤها جميلا ، كانت قد اشترته في نوبة مفاجئة من التبذير مضحية من اجله باول شيك ذي قيمة استلمته . كان الرداء من الحرير الأخضر

www.elromancia.com

المشوب بزرقة ، يتناغم مع لون بشرتها ، تظهر تفصيلته قوامها الممشوق الطويل .

ولكن لم يكن لديها وقت للإعجاب بنفسها ، فادخلت قدميها في حذائها بسرعة ونزلت مسرعة . وكان المعطف الوحيد الذي تملكه هو ذلك المعطف الوبري .. الآن ، وقد بدات تكسب جيدا من كتبها ، ان الاوان لشراء شيء افضل ، وربما ايضا سيارة جديدة . بدلا من تلك العتيقة التي ورثتها عن ابيها .

وكانت " اني " تعيش في فيلا في وسط القرية ، مواجهة للكنيسة .. وتصورت نفسها اخر الواصلين للعشاء . وتوقفت بسيارتها في اخر الصف ، وظلت لعدة دقائق تستجمع شجاعتها ، لقد كان الجمع المالوف كلهم حاضرين . بالضبط كما توقعت .

ولمحت سيارة "ثاي ماكينزي" البيضاء . ثاي ، تلك التي احاطتها بالشائعات طوال السنوات الماضية ، ثم اذهلت الناس بسرعة زواجها من "ستيوارت كوبر" نفسه ، حيث انجبت له ولده .

ولم يستمر زواجها بـ "ستيوارت" سوى ست سنوات ، وكان زواجها الثاني اقصر عمرا . وها هي تعيد نصب شباكها حول توم ، شقيق زوج "اني" . وابتسمت في سخرية وهي تشاهد سيارة توم الزرقاء طراز B M W حين تخيلت ما ستكون فيه ثاي من حيرة ، هل ستظل مركزة على "توم" ، وبخاصة لو كان قد احضر معه اخته الجميلة كريسي ، ام ستبذل جهدها لجذب انتباه "جريف" ؟

لقد كان موجودا ، فسيارته الجاجوار الفضية الرصاصية الرشيقة واقفة على مقربة من سيارة توم . وابتسمت في امتعاض . حسنا ، إن الإنذار المبكر خير من اجل اتخاذ الحيطة . واخذت نفسا عميقا ، ثم خطت خارج سيارتها إلى الباب الخارجي .

كانت الأضواء والأنوار يملأن المكان حينما فتحت "اني" لها الباب مندهشة ، وقالت هامسة :

- " لقد اعتقدت انك لن تحضري " وقادتها إلى الصالة .

- " اسفة ، لقد نعست قليلا وانا في الحمام ، ولم ادرك فوات الوقت " فقالت "اني" تغيظها :

- " نعست ؟ يالأعصابك الباردة . انتظري حتى تعلمي من ساقدمك إليه " وعلقت معطفها الوبري بجوار معطف "ثاي" والذي كان من فراء الثعالب . "

كانت هناك مجموعة من الناس في الصالة ، ولكن "روز" لم تر سوى واحد منهم . كان مسندا ظهره للوراء في استرخاء تام ، على إحدى الأرائك الضخمة ذات الطراز الريفي . كان جذابا بصورة مدمرة في جاكتته المخملية الخضراء . وكانت "كريسي أوسبورن" قد اتخذت لنفسها مكانا بجواره ، تنظر إليه في إعجاب حقيقي ، و"ثاي" في مواجهته ، وقد وضعت ساقيها الطويلتين الجميلتين واحدة على الأخرى ، بينما أصابعها الرشيقة المخضبة باللون القرمزي تضم سيجارتها .

وكان جهاز الإستريو يذيع اغنية شائعة . وصوت المغني الساحر يملأ المكان ووقفت "روز" مرتبكة ، وقد بدا قلبها يقترب من التوقف . هذا الراس المائل في خيلاء ، هذه الابتسامة الخافتة الساحرة .. كيف بالله لم تعرفه من اول مرة ؟ إن صورته معلقة في حجرة نومها منذ المراهقة ، وهي لا تزال تفضل اغانيه عن اي اغان اخرى .

"جوردان جريف" اشهر مغني روك في امريكا في زمانه . ومنذ اعتزاله ، ربما مرت اربع او خمس سنوات على حل فرقته الموسيقية وتبعثر افرادها ، تحول إلى مهنة إدارة اعمال غيره من الفنانين ، ودفع الكثير منهم إلى اعلى مستويات الشهرة .

ودفعتها "اني" وهي واقفة متصلبة في مكانها . وقالت :

- " ها هي قد وصلت اخيرا يا "جوردان" ، اقدم لك اعز صديقاتي ، روزالين هاموند" . هيا يا "روز" ، تقدمي ، إنه لن يعضك "

وقف على مهل وابتسامته الساحرة تملأ وجهه وقال :

- " لقد تقابلت مع "روز" من قبل " .

وشعرت بالدم يتصاعد إلى وجنتيها وقالت :

- " أسفة . لم اعرفك " قال :

- " هذا ما ادركته "

وصاحت "ثاي" من الجانب الآخر في الغرفة تضحك ضحكة شريرة :

- " آه ، هذه "روزالينتنا" ليست مغرمة بالموسيقى الحديثة في الواقع ، أليس كذلك ؟ إنها مثقفتنا المتحذلقة يا "جوردان" "

- " حقا ؟ " وأدرك "جوردان" أن "ثاي" قد أثار غيرتها أن تراه تحول باهتمامه إلى "روز" وبرقت عيناه بتلذذ خبيث ، وواصل حديثه مع "روز" بصوت ودود رقيق"

- " أي موسيقى تفضلين إذن يا "روز" ؟ "

ورغم الود في صوته ، فقد كانت تدرك أنه لا يقصد إلا إثارة "ثاي" . فقالت في جفاء ، متعمدة وبنبرة سخرية في صوتها :

- " الموسيقى الجيدة "

- " أوه ؟ موزارت ، بتهوفن وأمثالهما "

- " شيء من هذا القبيل " .

وشحن الجو في الصالة بالكهرباء ، وبدا كما لو كانت الحرب العالمية الثالثة على وشك الانفجار ، فتدخلت "أني" بسرعة وقطعت الصمت بقولها :

- " طالما اكتمل الجمع ، لماذا لا نتوجه للطعام ؟ "

وهب زوجها لمساعدتها قائلا :

- " عظيم أني أعدك بشيء واحد يا "جوردان" ، لن يسيئك طهي زوجتي"

وابتسم قائلا :

- " إنني أتوق لتذوقه . وبالمناسبة ، إن أصدقائي يدعونني جريف "

ورمق "روز" بنظرة مرحة . "

- " بالتأكيد . أتعلم ! أعتقد أنه لا يزال يوجد بعض أبناء عمومتك في المنطقة "بريان جريفين" ، كان جده يعمل في مزرعة أرنولد للأزهار " .

وبينما اتجه الجمع عبر القوس المفتوح إلى حجرة الطعام ، ذهبت "روز" إلى المطبخ لتساعد "أني" فقالت لها صديقتها :

- " يالك من محظوظة .لِمَ لم تذكري لي أنك قابلته ؟ "

قالت وهي تبتسم في خبث :

- " إنني لم أعرفه ، إذ كان الظلام مخيما . لقد حدث ذلك ليلة عودتي من لندن ، وكان الثلج يتساقط ، وكانت سيارته قد انحرفت عن الطريق،

فاوصلته معي ، هذا كل ما حدث . " وتجاهلت بقية القصة عامدة . ثم استطردت تحول مجرى الحديث ، قبل أن تسترسل "أني" في بحثها .

- " إن لك أن تفخري أنت وزوجك بأنكما أول من دعاه "

فردت :

- " إنه بول ، تصوري ، إنه يعرفه ، ولم يذكر لي ذلك قط ! هل تتذكرين أنه عمل أول سنة له في أواسط أمريكا . لقد تقابلا هناك ، وكان يغدق بالإحسان على مستشفيات الفقراء هناك .

- " لم أسمع بهذا الأمر من قبل "

- " نعم ، إنه يجب عدم الإعلان عن ذلك . وبالأمس صباحا ، جرح أحد العاملين في منزله يده جرحا عميقا ، فاحضره بنفسه للعيادة ، ومن المؤكد أن يتحدثا سويا ، ودعاه "بول" على العشاء " .

ثم قالت بنبرة خاصة : " تصوري، إنه أوسم مما كان عليه من عشر سنوات" فقالت لها "روز" مؤنبة :

- " أني ، إنك امرأة متزوجة "

فانخرطت في الضحك قائلة :

- " أعلم ، ولكن هل هناك بأس من النظر ؟ "

والقت "روز" نظرة على غرفة الطعام ، وقالت :

- " أعتقد أنه كانت خسة منك أن تدعي "ثاي" و"كريسي" معا" وكانت الغريمتان تتنافسان على أقرب مكان منه واستطردت :

- " يالِلمسكين ، إنه على وشك أن يلتهم حيا ؟ "

- " المسكين حقا ! كان يجب أن تريه وهو يتلاعب بهما ويضربهما ببعضهما ، لقد اضطررت للجري للمطبخ ، فلم أكن مستطيعة أن أتمالك نفسي " .

قالت وهي تتمنى ألا تلاحظ "أني" نبرة استياء في صوتها "

- " يبدو أنه يتمتع بذلك " .

قالت صديقتها :

- "أعتقد أنهما يجعلان من أنفسهما أضحوكة بتصرفاتهما ، كأنه سيهتم بأي منهما . تصوري كل تلك الفتيات رائعات الجمال اللاتي صادفهن ! إنه يتسلى بهن ، وهن غبيات لو تصورن العكس " .

www.elromancia.com

قالت : " إنك على حق " واستغرقت في التفكير موبخة نفسها ، وهي ستكون اشد غباء . فهي لديها اسباب اكثر لمعرفة انه لن يهتم بها ولو بنسبة واحد في المليون ولكن ذلك لم يكن مجديا . إن الرجل بلحمه وشحمه كان يشدها بقوة اكثر مئات المرات عن الوثن الذي كانت تعبده وهي مراهقة.

وقالت صديقتها وهي غير واعية لسرحانها :

- " هيا بنا . احملي عني هذا الباتيه " وكان من دواعي ارتياحها ان تجلس على بعد منه . كان هو على يمين المضيف ، في الطرف الآخر من المائدة ، وقد استطاعت "كريسي" ان تحشر نفسها ببراعة بجواره ، واندمجت في حديث مبتهج مع "نيجل" ، شريك باول ، والمساعد عند الشدة لـ "اني" في حفلات العشاء . اما "ثاي" ، والتي خسرت معركتها في الجلوس بجوار "جريف" ، فقد اتخذت لنفسها موقعا امامه ، ومنه وجدت المكان مناسبا لمغازلته عبر المائدة .

وابتسم "توم اسبورن" لـ "روز" باسلوبه الودود ، ونهض يخلي لها مكانا وهو يجاملها بقوله :

- " اهلا ، إنك رائعة هذه الليلة " فردت عليه بابتسامة حارة . لقد كان "توم" دائما لطيفا معها ، حتى وهو من شلة ستيوارت كوبر في الايام الخوالي .

وسالها متخابثا :

- " والآن ، هل انت ايضا مجنونة بحب جارنا الجديد؟ " فهزت راسها وقالت:

- " لقد هجرت حب ملوك الغناء منذ السادسة عشرة ، كما انه في هذه اللحظة لديه ما يكفيه وزيادة " .

وراقبت من تحت رموشها الموقف الذي بدا يتصاعد في الطرف الآخر من المائدة ، حيث كانت المنافسة بين المراتين آخذة في الاحتدام ، وابتسامة "جريف" الساخرة لا تفارق شفتيه .

كيف بالله لم تتعرف عليه ؟ لقد قصر شعره بالتاكيد ، ولكن الملامح هي ما ملأت واجهات الالبومات الغنائية ، إلا انها لم تكن تتوقع ان تلقاه في ارنبي بردج .

ورمشت لها عيناه ، فاسرعت بتحويل انتباهها إلى "توم" :

- " لقد اخبرتني "اني" انك قد تكون شريكا قريبا " وكان يعمل محاميا بإحدى شركات المحاماة المحلية ، ورد عليها .

- " فعلا ، إن "جورج" سيتقاعد هذا الصيف ، وساحل محله " فردت بابتهاج :

- " هذا امر طيب " قال :

- " إنها خطوة في الطريق السليم ، والشيء بالشيء يذكر ، متى ستبيعين لي منزلك ؟ فضحكت وهي تهز راسها وقالت :

- " لست مستعدة لذلك في الوقت الحالي " .

- " إذا ما غيرت رايك .." قالت :

- " ستكون أول من يعرف " .

وانهمكا في حديثهما الودي وهما يوفيان طعام "اني" الرائع حقه ، مبتعدين عن المعركة الحامية التي تجري في الطرف الآخر بين المتنافسين ، و"جريف" يتلاعب بهما بدهاء وهو لا يزال يحتفظ بهذه النظرة الساخرة في عينيه .

وقالت له "ثاي" :

- " ولكنك ستجد المكان هنا كما لو كان كوكبا آخر بالنسبة لك "

ورفع حاجبا شيطانيا لجزء من الثانية :

- " لا اعتقد ان "روز" ستوافقك على ذلك ، ما رايك يا "روز" ؟

وانتبهت فجاة لان الجميع ينظرون إليها ، فرفعت عينيها في عدم ثقة . وكان يحملق فيها بنظرته الساخرة . وشعرت بالكراهية تجاهه في هذه اللحظة، فردت ببرود متناه : "عفوا !"

فقال بلهجة لاذعة :

- " الم تقولي إنني ساشعر بالألفة هنا بين اقراني كخنزير متعصب ضد المراة " وانتابها الاضطراب ، لا تدري كيف ترد عليه بما يستحق .

اما "كريسي" فانفجرت في الضحك وقالت معترضة :

- " أوه "روز" ! ما هذا الذي قلته. انا متاكدة ان "جريف" ليس من هذا القبيل"

ورمقته بنظرة لعوب.

وانبرت "ثاي" في صوت انثوي :

- " اوه ، كل هذا الحديث عن المساواة النسائية كلام فارغ ، انا عن نفسي اميل إلى الرجل الذي يشعرني بسيطرته". ولم تتمكن "روز" من منع ابتسامة امتعاض لهذه العبارة من بين شفتي "ثاي" . "

واشتعلت عينا المراة الأخرى بالغضب وقالت بسخرية وقحة :

- " وكيف تعرفين ذلك ؟ إنك لم تستطيعي أن تحتفظي بـ "ستيوارت"

فردت "كريسي" بنشوة ظفر :

- " ولا انت "

فردت "ثاي" بهياج:

- " ولكنه تزوجني على الأقل " .

وشعرت "روز" بالدم يكاد ينبثق من وجنتيها من المذلة ، والمهانة تشعر بنظرات "جريف" الفضولية وهو يراقب هذا التحول الخطير .

ونهضت "آني" المباركة لإنقاذ الموقف قائلة :

- " حسنا ، هل تريدون قهوة ؟ "روز" ، هيا لمعاونتي " .

وشعرت "روز" بارتياح داخلي ، فنهضت قائلة :

- " حسنا " وبدات تجمع اطباق الحلو ، وتفر هاربة إلى المطبخ . "

الفصل الثالث

وسرعان ما انقشعت هذه اللحظات المتوترة ، واندمج الجميع في احاديث متفرقة حول مائدة العشاء ، ثم تحولوا إلى الصالة لتناول المشروبات . واخذت "ثاي" بذراع "جريف" تغريه أن يجلس بجوارها ، ولكن "كريسي" لم تكن لتسمح لها ان تفوز عليها بسهولة . فجلست مائلة بجسدها على الجانب الآخر من الأريكة وراحت تجذب انتباهه بحديث مغر .

وكانت "روز" ترقبهما باهتمام خفي ، متصورة في أسى ما هو عليه من غرور. لابد وان الأمر هكذا دائما ، يطارد اينما حل من يرمين انفسهن تحت قدميه . نساء فاتنات ، بل وغير فاتنات ايضا ، متصورة مسلكها هي الأخرى . لابد ان الأمر شاق بالنسبة له وقالت "ثاي" في إصرار على الاستحواذ بالانتباه من "جريف" :

- " ما رايكم في موسيقى ؟ "

وتحركت في دلال اخاذ إلى جهاز الأسطوانات ، واختارت إحدى اسطوانات "جريف" ولكنه بادرها بالقول :

www.elromancia.com

- " ليست هذه ، دعونا نختار أخرى من أجل التغيير " ورمته بنظرة خفر من رموشها الحريرية ، وقالت :

- " اي شيء تشاء "

فرفع حاجبيه قائلا :

- " اي شيء ؟ " فردت ضاحكة :

- " من الموسيقى فقط " .

وكانت ميوعة صوتها تكذب هذا التحديد .

وبدأت الموسيقى الرومانسية تملأ الغرفة ، وقالت له بجراة :

- " هل ترقص ؟"

وارسل نظراته تمسح جسدها المثير والذي يبرز مفاتنه رداؤها الأسود الملتصق ببدنها ، وقال :

- " بالتاكيد " واخذها بين ذراعيه ، ولمحت "روز" من فوق اكتافها عينيه الميلئتين بالرغبة في الخطيئة ، فاشاحت نظرها بسرعة .

وما لبثت "كريس" ان بدات تغلي ، فامسكت بيد اخيها وجذبته في ضحكة مجلجلة وقالت :

- " هيا يا "بول" ، فلناخذ دورة او اثنتين . " فقال في خجل :

- " لم اكن اعلم انه ستقام حفلة رقص " قالت :

- " إنها مجرد رقصة عابرة ، والاولاد مع والدة "اني ، فهيا " واخذت تدور مع اخيها في براعة فائقة ، متعمدة ان تجذب انتباه "جريف" ، وكانت "ثاي" تستشيط غضبا لكل حركة بارعة منها .

وابتسم "توم" متخابثا لـ "روز" وقال :

- " هيا يا فتاتي ، لا تجعليهم يعتقدون اننا الوحيدان المنبوذان في الحفل"وفهمته على الفور فهو يريد ان يبين لـ "ثاي" انه غير مهتم بتصرفاتها . وكانت على استعداد لمعاونته ، فهي نفسها تحمل مشاعر مماثلة ، علاوة على حبها للرقص ، تنسى على انغامه مشاعرها .

وأولت "روز" ظهرها لـ "جريف" طوال الرقص ، تاركة "توم" يغازلها بصورة مكشوفة . ولم يطل الوقت حتى انتبهت "ثاي"، واستاءت لذلك . فمن الواضح ان ما تحلله لنفسها تحرمه على غيرها . وإذا كانت تفوز من"جريف" بليلة يتعطف بها عليها فإنها لن تامل منه اكثر من ذلك ،

ولم تكن لتترك صيدا ثمينا مثل "توم" يفر من بين يديها . وفجاة وجدت "روز" نفسها تندفع بلا شفقة في عملية تبديل بين الراقصين .

فقد قالت "ثاي" مبتسمة لـ"روز" ، بينما عيناها تنطق بالشر :

- " اه "توم" ! جميل منك ان تراقص "روز" المسكينة ، ولكنك الآن تتوقين للرقص مع "جريف" ، اليس كذلك يا عزيزتي ؟"وتخلت عنه في كرم لها قائلة :

- " ليس لي ان احتكره طوال الليل " . ووجدت "روز" نفسها بين ذراعيه ، فتصلب بدنها وهي تحاول ان تحافظ على مسافة بينهما ، فذكرى وقوعها بين ذراعيه لا تزال حية في مخيلتها . وكان قد نزع رباط عنقه ، فبرزت بعض الشعيرات السوداء اعلى عنقه من فتحة القميص ، وابتلعت "روز" ريقها وقد جف حلقها .

وقال بصوت مغر :

- " استرخي ، فانا اشعر اني اراقص إنسانا اليا " قالت :

- "آسفة ، فلست راقصة جيدة ؛ فرد بابتسامة خلابة :

- " لا اعتقد ذلك ، فقد كنت اراقبك مع اخي "بول" ، إنك غاية في الرشاقة وقت ان تنسي انك لا تحبين احدا ان يلمسك ، ام ان هذا الشعور مقصور علي."

قالت وصوتها مليء بالانفعال :

- " كلا .. إنني .. إن الأمر مختلف حينما ترقص انت "

فقال في صوت يصعب مقاومة إغرائه :

- " إذن فلتسترخي " وكان دفء راحته على ظهرها يشعل النار في عمودها الفقاري ، ودارت راسها وهي تستنشق عبيره الرجولي ، وغمغم وانفاسه تداعب شعرها " هذا افضل ، لماذا تظلين متوترة هكذا طوال الوقت "

- فغمغمت في ياقة جاكتته :

- " هذا امر لا املكه " قال :

- " لكن لماذا ؟ إنك فتاة جذابة "

- " إياك ! " وجفلت بين ذراعيه : " إنني اعلم اني لست جميلة ، ولا اهتم بذلك ، ولكني لا اطيق ان يخادعني احد ويظن بي الغباء " .

وومضت عيناه بالقلق وقال بلهجة لاذعة :

- " لست اخادعك ، لم اقل إنك جميلة ، ولست محتاجة لذلك ، إن تاثيرك على الرجال لا علاقة له بتقاطيع الوجه " .

وشعرت بخديها يتضرجان حمرة ، واشاحت بصرها بسرعة وقالت:

- " لست افهم قصدك "

قال :

- " احقا ؟ لا اصدق ، ولا اتصور انني الوحيد الذي اشعر به ، إنك تؤججين النيران بداخلي " وضمها اكثر إليه .

وهزت راسها تحاول التخفيف من ضمه لها ، إنها تعلم ما يقصده ، وهو ما تحذر منه ، تحذر من اولئك الذين يرون في طباعها الخجولة دليلا على انها سهلة الاصطياد . وإذا كانت قد استطاعت ان تصد مثل هذه المحاولات ، إلا انها الآن ليست بين ذراعي رجل عادي ، إنه "جوردان جريف" الذي يثير الاضطراب في تفكيرها . وتملصت منه قائلة :

- " لو سمحت .. لن اغيب طويلاً واسرعت خارج الغرفة ، ثم إلى الطابق الاعلى ، ودخلت الحمام واوصدته عليها .

واستندت إلى الباب ترتجف . ما الذي يحدث ؟ - لماذا يحوم حولها بهذه الصورة . إن لديه "ثاي" و"كريس" راكعتين تماما تحت قدميه - الم تكفياه ؟ ام يريد ان يثبت مقدرته على ان يحيل اية امراة خاتما في إصبعه ؟ " واجبرت نفسها على النظر في المراة ، لتجمع رباطة جاشها .

واخذت توبخ نفسها بمرارة "استيقظي يا "روزالين هاموند" ، إن "جوردان جريفين" لن يضيع خمس دقائق معك "

وشعرت بتحسن لذلك ، ولكن "روز" لم تكن تمتلك الشجاعة لتعود للجمع . إن "اني" ستتفهم الأمر لو انسلت للخارج ، ورشت وجهها بالماء ، ثم فتحت باب الحمام .

كان واقفا علي قمة السلم ، مستندا إلى الحائط ، ذراعاه مطويتان على صدره العريض ، وابتسامة قاسية تشكل شفتيه .

- " هل ستغرين ؟ "

واخذت نفسا عميقا وقالت :

- " لا، بالتاكيد لا ، لماذا افعل ذلك ؟ "

- " حقا ، لماذا ؟ " وخطا في اتجاهها ، فتراجعت ، وقال بنفس صوته الساخر المغري :

- " ما الذي تخافين منه بالضبط ، يا "روزالين" الجميلة ؟

- " لا شيء ، فقط .. إني ذاهبة للمنزل ، امامي اعمال كثيرة " .

وهز راسه وقال :

- " ليس بالعذر الوجيه ، من سيدة تفر من حفلة عشاء اعز صديقاتها "

ورفعت ذقنها في علياء ، وعارضته قائلة :

- " وكيف تعرف " وكان صوتها يفضح توترها .

وضحك وهو يتقدم إليها ، وقد احاط بها في ركن فلا تستطيع ان تتراجع اكثر ، وقالت له بمرارة :

- " إنك .. إنك لست محتاجا لي .. إن لديك رصيدا ضخما من المتعة اسفل".

فهز راسه قائلا:

- " قد تعتبرينه غرورا مني ، ولكني اجد ذلك مملا للغاية ، وليس لي اهتمام إلا بك . والآن من هو "ستيوارت" ؟ "

وحاولت ان تجد وسيلة للإفلات منه ، ولكنها كانت كمن وقع في المصيدة ، وتقدم منها ووضع يديه على كل جانب من جانبيها . مستندا إلى الحائط .

- " والآن ، هل ستخبرينني ؟ "

وحاولت ان تفر وهي تستعطفه :

- " كفاك ، ارجوك ، دعني وشاني " قال وهو يزيح بإصبعه خصلات شعر من على وجهها :

- " ليس قبل ان تخبريني ، لقد فهمت انه زوج "ثاي" الأول " فهزت راسها صامتة وقال :

- " هل سرقته منك ؟ " فغمغمت :

- " شيء من هذا القبيل " .

فضحك بنعومة قائلا :

- " يا له من مغفل ، وما زلت تحملين له الحب ؟ "

- " كلا ، بل إني في الواقع مدينة له بالعرفان ، فقد علمني درسا لا ينسى " . - " الا وهو ؟ "

- "الا افعل شيئا لا اكون مستعدة لأن تنشره الإذاعة في اليوم التالي" .

فابتسم في تعاطف قائلا :

- " اهذا ما فعل ؟ مسكينة يا "روز" .. وهذا بالتاكيد امر مستهجن في قرية كهذه " ورمشت عيناها لسرعة بديهته ، وسالها :

- " كم كان عمرك وقتها ؟ "

- " سبـ .. سبعة عشر "

- " وهل كان لديه الكثير ليحكيه ؟ "

واسدلت جفونها في شعور بالمذلة ، وقد تورد خداها ، اما هو فاخذها بين ذراعيه دون مقاومة ، وقال :

- " ايتها المغفلة الصغيرة ، لا تدعي نزوة كهذة تدمر حياتك "

ورفع راسها ، وطبع قبلة على شفتيها ، وكان يكتسح كل ما بنته من اسوار حولها ، ولم يكن امامها سوى ان تستسلم لقبلته . ثم همست له وهي تحاول تحرير نفسها :

- " ارجوك دعني "

قال :

- " ليس بعد .. لقد ضيعت على نفسك وقتا طويلا . "

وفرت منها شهقة بكاء ، وشعرت بساقيها لا تحملانها ، ولكنه امسك بها .

لو كان رجلا اخر .. ما الذي يجعل "چوردان جريفين" يطارحها الغرام، وليس فيها ما يغري ؟ لعله تاه زهوا ببعض الانتصارات السهلة ، فعدها كذلك ، وانفجر الغضب داخلها ، فدفعته عنها وهي تقول من بين اسنانها :

- " لقد قلت لك ان تبعد عني ، اتظن نفسك هبة من السماء لكل امراة " وتراجع مدهوشا لرد فعلها ، فانتهزت الفرصة لتمر منها وهي تصرخ فيه " وفر جاذبيتك التي لا تقاوم لامثال "ثاي" و "كريستي" اي نوع من الحمقاوات تظنني؟"

ورد عليها في برود يثير الغضب :

- " لم اقرر بعد "

- " لست حمقاء بالدرجة التي تنهار امام امثالك ، لقد تعلمت درسا منذ زمن، ليتني كنت اصغر سنا لاقدر ذلك منك " قال ضاحكا في تهكم لاذع :

- " ربما ، ولكنك لست بالعانس العجوز بعد ، ولا يمكنك ان تطفئي تلك الجذوات المتاججة داخلك بسهولة " .

واستدارت بعنف وهبطت السلم ، وعند اسفله صادفت "اني" قادمة من غرفة الجلوس فقالت :

- " اوه ، انت هنا .. ماذا تفعلين ، هل انت منصرفة ؟ غير معقول ! "

وابتسمت لها "روز" وهي تلتقط معطفها، وقالت متقطعة الانفاس :

- " نعم ، اسفة يا "اني" ولكن ورائي شيئا هاما ، شكرا على العشاء ، لقد كان رائعا " .

ورددت "اني" النظر بينها و"جريف" ، ثم سالت :

- " هل كل الأمور على ما يرام ؟ " فهزت كتفيها وقالت :

- " بالتاكيد ، تصبحين على خير يا "اني" ، تصـ .. تصبح على خير يا "جريف" . فقال وعيناه تسخران من عينيها :

- " تصبحين على خير ، ربما اكملنا ... مناقشتنا .. في وقت اخر " .

واتسعت عينا "اني" وهي تشعر بالتوتر الخفي بينهما، ولكنها قالت مذعنة :

- " تصبحين على خير " وتبعتها للباب الخارجي ، وعند الشرفة اعترضتها قائلة :

- " ما الموضوع ؟ "

- " لا شيء لقد اخبرتك . ماذا تقصدين " وجاهدت ان تبدو عليها البراءة. ولكن "اني" قالت بدهاء :

- " دعك من هذا ، واخبريني ، هل تشاجرت معه ؟ "

- " بالتاكيد لا ، ما الذي بيننا لنتشاجر من اجله "

- " لست ادري ، ولكن طريقتك في الفرار منه اثناء الرقص .."

- " لم يحدث ، إن الأمر فقط .. انه يحاول ان يبدو اكبر من حجمه ،

يعتقد لأنه "چوردان جريفين" أن كل النساء يجب أن يركعن عند قدميه "

وضحكت "أني" :

-"كفاك ! إنه غير مغرور بالمرة .. فقط عندما تحوم حوله الغبيات من أمثال "ثاي" و"كريسي" ، ولا يمكنك أن تلوميه لذلك . " فقهقهت "روز" بالضحك قائلة :

- " أنت مفتونة به ، مع كونك زوجة محترمة "

- " لست مفتونة به ، إنني أقول فقط إنه لطيف . من يتصور أنه يترك كاليفورنيا بشمسها ليقيم بيننا " ثم قالت بخبث :

- " لمست تغييرا كبيرا ، أليس كذلك " وكانتا ترتعشان من برودة هواء الليل .

- " لماذا لا تسأليه عن السبب ؟ "

- " لست أريد أن أكون فضولية "

- " منذ متى ؟ "

واعترضت "أني" على هذا التلميح :

- " أتريدين أن تقولي إني كذلك ؟ حسنا ، إنني أحب أن أكون على دراية بما يجري ، ولكن "جريف" مختلف ، إنه غريب عنا "

وابتسمت "روز" لصديقتها في ود ، ثم قالت تغيظها :

-"ستسألينه إن عاجلا أو آجلا، علي أن أمضي، فأنا أرتعش من البرد"

- " مع السلامة ، ولا تغلقي عليك نفسك بالأسابيع مع كتابك كما فعلت في الكتاب السابق . ولو فعلت ، فسأحضر بنفسي وأخرجك "

وضحكت "روز" قائلة: - " حسنا .. سأحاول ، مع السلامة " ولوحت لها أني مودعة . وابتسمت "روز" لنفسها في أسى . إنها تغبط صديقتها فعلا : زوج محب ، وأولاد غاية في الجمال .. أحيانا ما يبدو كوخها الصغير مكانا غاية في الانعزال . وهزت رأسها تنفض عنها ذلك المزاج السوداوي الذي يوشك أن ينتابها . إن من الغباء أن يقع الإنسان تحت سيطرة التفكير فيما كان يحتمل أن يكون .

لعلها لم تصنع للزواج على أية حال - من من الرجال يتحمل زوجة غارقة في أيام القرن السادس عشر ، تعيش فيها أياما طوالا ؟

وبالنسبة للأطفال الرضع.. ربما يشدها فصل من فصول كتابها فينسيها إرضاعهم ، أو حتى تغيير لفائفهم .. كلا ، من الأفضل أن تكون على ما هي عليه - لا يشغل بالها سوى قطة سوداء وحيدة مثلها.

في الصباح التالي ، بدأ ذوبان الثلج ، وحلت معه الكارثة . بدأت بنقيطات سمعت "روز" تساقطها وهي تتناول فطورها . فهرعت إلى الطابق العلوي لتجد سقف غرفة نومها يتساقط منه الماء في عدة أماكن .

وكادت تزل قدمها وهي تنزل مسرعة إلي المطبخ، تحاول أن تتذكر مكان محبس المياه الرئيسي، ووجدته بعد أن بعثرت كل شيء في الدولاب المنشأ تحت الحوض، ولكنها لم تستطع تحريكه. وكان التساقط من المواسير التي انفجرت يتزايد بصورة مزعجة دقيقة بعد أخرى. وأخذت تجاهد بكل قوتها لتحريك المحبس، ولكنه ظل على عناده .

وحملت معها فزعة بعض الأواني لتضعها تحت الماء المتساقط ، ولكن التسرب سرعان ما انتقل لأماكن أخرى ، فهرعت إلى الطابق الأسفل وهي تكاد تجهش بالبكاء من القلق والإحباط لتحضر مزيدا من الأواني .

وانتهت إلى استعمال كل ما تحت يدها من أوان ، من طشت الغسيل إلى أحواض الزرع ، لتلقي القطرات المتسربة . وحينما ظنت أنها تعاملت مع كل أماكن التسرب ، عادت لجولة أخرى مع المحبس العنيد، والذي ازداد عنادا . فأسرعت إلى الدولاب المنشأ تحت السلم، وأحضرت شيئا من الشحم دلكت به المحبس ، دون جدوى .

وتساقط شعرها على وجهها فأزاحته نافذة الصبر ، دون أن تعي لتلطيخ وجهها بالشحم ، ثم تذكرت الأواني في الطابق العلوي، فأسرعت إليها تفرغ ما فيها قبل أن يفيض ما بها من ماء .

وطفقت تغمغم :

" اللعنة ! اللعنة ! " لقد كانت تنوي أن تنظر في إجراء صيانة للمواسير في الصيف الماضي ، ولكنها نسيت كل شيء عن الموضوع ، ولا يمكن أن يلام سواها .. ربما يكون التسرب قد أصابها في أكثر من

عشرين موضعا حتى الآن . "

وتنهدت وهي تصعد إلى السطح المسحور حيث توجد المواسير ، واجتازت بيوت العناكب التي كانت تفزغ لها في صعودها ، وكان منظر المواسير مزريا ، وقد تاكلت المواد التي تغلفها في اكثر من موضع ، إما بفعل الفئران أو بفعل الطيور . ولم يكن امامها إلا ان تعود ادراجها هابطة السلم ، لتجلس عند اخر درجة منه ، تاركة لدموعها العنان .

وافزعها طرق على الباب ، فهبطت غير واعية لمنظرها إلى الطابق الأرضي ، وجذبت باب الخروج بعنف ، وكان "جريف" عند عتبته ، وارتسمت على وجهه نظرة دهشة عميقة ، ولكنها لم يكن لديها وقت للتفكير

-"حمدا لله" شهقت بهذه العبارة وهي تجره للمطبخ، وهناك اشارت:

- " هناك .. هذا المحبس .. إنه لا يريد ان يتحرك " .

ونظر إليها متحيرا ، ولكنه لم يجادل . ونزل على ركبتيه ليتعامل مع المحبس بكلتا يديه ، وبكل جهده ، حتى استجاب في النهاية . ثم فتح صنبور الحوض ليفرغ كل ما في المواسير من مياه متبقية ، وفي دقائق ، توقف التسرب كلية .

- " أووف " وارتمت متنهدة على اقرب كرسي ، وقالت :

- " شكرا لك ، لقد ظننت أن السقف سينهار باكمله قبل ان يهب احد لنجدتي" وقال متجهما :

- " كان المفترض ان تحافظي على تشحيم ذلك المحبس ، لقد اصابه الصدأ.. هل هناك اضرار كثيرة ؟" قالت :

- " إن المواسير في وضع سيئ في اكثر من موضع "

قال :

- " فلنلق نظرة " وقادته إلى الطابق العلوي حيث تطلع في المكان متجهما ، وقال :

- " إن الموقف خطير بالفعل ، ولا يمكن ان تستخدمي الكهرباء الآن ، فقد يتسبب ماس كهربي في حريق مدمر " .

وسالته :

- " وكم يحتاج المكان من الوقت ليجف ؟ " قال :

- " ذلك يعتمد على الطقس ، فلنلق نظرة على المواسير " قالت :

- إن المكان في غاية القذارة هناك " فقال متهكما وهو يلقي بنظرة على مظهرها :

- " اكاد اتصور ذلك . هيا امامي "

واعطته مصباحا وصعد دون ان يلقي بالا للاتربة ، وحينما عاد ، كان التعبير على وجهه يغني عن اي تعبير .

- " يجب تغيير كل المواسير ، وإصلاح السقف ايضا " وسالها برقة:

- " هل لديك مصاريف الإصلاح ؟ قالت :

- " ليست هذه هي المشكلة ، ولكنها حضور العمال إلى هنا .. وكوني وحيدة في هذا المكان المنعزل .. " وعادا إلى المطبخ سويا .

واقترب منها متعاطفا ، وكادت تلقي بنفسها بين ذراعيه طلبا للراحة ، ولكنها تذكرت فجاة ما هي عليه ، فتراجعت محمرة الخدين خجلا ، وسالته :

- " اتريد شيئا من القهوة ؟ " ولكنها تذكرت والقدر في يدها ما من ماء في المنزل ، وكانت القشة الأخيرة ، ودقت بيدها في حنق على الحائط . إن قلعتها الحصينة التي شيدتها بدات تتهاوى في تلك الأيام القليلة الماضية ، بسبب تدخل هذا الإنسان . ولولا هذه المواسير اللعينة .. لما سمحت له ان يخطو عتبة دارها ولكن ها هو الآن يحاصرها في مطبخها ، حيث لا مفر لها .

وكانت تحس به واقفا خلفها . ورغم انه لم يلمسها ، فقد كانت تشعر بشحنة كهربية تملأ الفراغ بينها وبينه ، وسرت في بدنها رعشة كما لو كان قد داعب جسدها . ولكن يبدو انه كان يحس بما هي فيه من توتر اعصاب توشك على الانهيار ، فلم يحاول انتهاز الموقف .

وسالها بصوت يدل على اهتمام حقيقي :

- " اين ستقيمين اثناء ترميم المكان ؟ هل لديك مكان تاوين إليه ؟ "

قالت وهي تحاول ان تتصرف بطريقة عادية :

- " يمكنني الإقامة عند " اني" .

- " إذن فاطلبيها ، ويمكنني أن أوصلك لها . " قالت :

www.elromancia.com

- " لا داعي ، يمكنني ان اتصرف ، شكرا لك " فقال بإصرار لا يتحمل معه اية مقاومة " لست في حالة تسمح لك بالقيادة ، هيا رتبي الأمر مع "اني" ، واحزمي ما تحتاجينه من متاع .. لا مجادلة " .

ورضخت للأمر ، شاعرة بالراحة لوجود من يتحمل عنها متاعبها ، واتجهت للصالة تطلب "اني" وتعاطفت "اني" على الفور :

- " بالتاكيد يمكنك الحضور . هل اتي لآخذك ؟ " فردت "روز" على الفور :

- " كلا ، ساكون عندك في خلال عشرين دقيقة "

- " حسنا ، في انتظارك" .

وحينما عادت للمطبخ ، كان "جريف" جالسا إلى المائدة ، ونظر إليها مبتسما: - " حسنا ؟ "

وهزت له راسها :

- " إني .. شاكرة لك ما قمت به ، لست ادري ماذا كنت ساصنع لولا قدومك" فضحك بمرح قائلا :

- " لابد ان اعترف ، ليس هذا هو الاستقبال الذي توقعته " .

وشعرت بوجنتيها تتوردان ، وغمغمت :

- " إني آسفة .. هل .. هل كنت تريد شيئا على اية حال ؟ "

وكانت العينان السوداوان تبتسمان لها وهو يقول :

- " لقد جئت اعتذر عن ليلة امس ، لم يكن قصدي ان اكدر صفوك ، اخشى ان يكون تاثير امثال صديقتيك عليّ غاية في السوء " فضحكت ضحكة مهتزة ، وقالت :

- " لقد كنت اعتقد انك متعود على امثالهن " قال :

- " المفروض . ولكنه امر غاية في المتعة لي ان اصادف من لا تعرفني من بين الرجال ؟ "

وسببت روحه البسيطة الارتياح لها ، فابتسمت له قائلة :

- " لابد ان اعترف انني اشعر في نفسي بالغباء لذلك ؟ فقال مجادلا:

- " لماذا ؟ لكم كنت اتمنى الا يكون لي من الشخصية التي يتعرف عليها كل إنسان ، ثم بما انك غير مغرمة بالموسيقى الحديثة .. "

فقاطعته قائلة :

- " ليس هذا صحيحا تماما ، إني احب بعضا منها بالفعل ، بل إني محتفظة ببعض تسجيلات لك ... " وما إن قالت ذلك ، حتى احست بنفسها تحمر خجلا مرة اخرى، لقد نسيت نفسها ، فاستدركت قائلة:

- " حسنا .. سوف .. اضع بعض الأشياء في حقيبتي .. وابحث عن "ساندرز"

- " ساندرز؟ ! "

- " قطتي ، التي يحلو لها التجوال هنا وهناك " وفي هذه اللحظة ، دخلت القطة السوداء ، وبعد عدة تمسحات في قدمي "جريف" ، رفعت قدميها الأماميتين إلى ركبتيه ، متمسحة برأسها في جانب من فخذه ، ونهرتها "روز" بحدة قائلة :

- " كفي عن هذا ، إن "جريف" لا يريد ان تمزقيه إربا بمخالبك " .

ونهض حاملا القطة بين ذراعيه ، وقال :

- " إنها لن تفعل ذلك " وجاوبته "ساندرز" على هذه المعاملة الراقية منه بقرقرة منتشية .

وكان غباء منها للحظة ان تشعر بالغيرة من ساندرز .. وانصرفت مسرعة وهي تقول :

- " لن اغيب إلا دقائق "

www.elromancia.com

الفصل الرابع

لم تستغرق المسافة لمنزل "اني" سوى دقائق ، وكانت "روز" قد نسيت انهما في منتصف النهار ، وان رؤيتهما معا من شانها ان تثير زوبعة من الاقاويل . فتنهدت قائلة :

- " يا إلهي .. سيجد القوم موضوعا شيقا يلوكونه بالسنتهم "

فابتسم قائلا :

- " هذا إذا لم يكن لديهم شيئا افضل يفعلونه " . واوقف السيارة عند الرصيف ، ونزل ودار حولها ليفتح لها الباب ، ثم ذهب إلى الحقيبة الخلفية ليحضر لها حقيبتها .

وغمغمت وهي تحس بالعيون المتسائلة تراقبها :

- شكرا لك.. شكرا لك على كل شيء" ورماها بابتسامة مداعبة وقال:

- " الم تنس شيئا اخر تشكرينني عليه " فتصنعت الجد وقالت :

- " لا .. لا اظن "

وفي تلك اللحظة فتحت "اني" الباب ، وحينما رات من جاء بـ "روز" إلى منزلها، كسا وجهها تعبير لم تتمالك "روز" معه إلا ان تنفجر من

الضحك .

وقالت "اني" :

- "روز" وطفقت تردد النظر محملقة بين الاثنين وعشرات الأسئلة تتزاحم في رأسها ، لم تعبر عنها إلا بابتسامة جامدة على وجهها ، ثم استطردت :

-" ماذا .. ؟ تفضلي بالدخول .. وانت يا "جريف" ، اتود قدحا من الشاي ".

فقال موافقا على الفور :

- " شكرا جزيلا لك .. لا مانع " .

وهمست "اني" لصديقتها وهما يتجهان إلى المطبخ :

- " ما الذي يجري ؟ كيف تسنى له ان يحضرك إلى هنا ؟ "

فهمست ترد عليها :

- " إنها قصة طويلة .. ساحكيها لك فيما بعد "

- " اتدرين ؟ لقد ساورني الشك في الأمر ، حتى تحدثت مع "بول" بخصوصه .. إن الرجل متيم بك " .

فردت "روز" على الفور ، املة الا تكون وجنتاها قد بداتا في الاحمرار

- " اوه ! كفاك حمقا ! ..

إنه .. لقد تشاجرنا مشاجرة بسيطة بالأمس ، وجاء ليعتذر .. هذا كل ما في الأمر " .

فرمتها بنظرة شك وقالت :

- " احقا ؟ ليعتذرفقط ؟!" فقالت "روز" في إصرار :

- " نعم ، ليعتذر فقط ، والآن ، ساعمل انا الشاي وعودي إليه و(غازليه) كما تشائين ! "

فردت "اني" محتجة :

- " انا لا افعل ذلك مع اي إنسان " .

وعادت "روز" حاملة صينية الشاي للصالة بعد دقائق ، لا لتجد "اني" مفتونة بـ"جريف" ، بل لتجده هو مفتونا بطفليها . كان جالسا على الأرض يلهو معهما ومع القطة .

وكانت "اني" جالسة على اريكة ترقبهم بسرور ، ويداها تعملان في

www.elromancia.com

شغل الإبرة لتصنع شيئا للوليد المنتظر. وصاح "جريف" لها مبتسما:

- " آه ، الشاي ! لقد بدأت اتعود على شربه ، إن العمال في منزلي لا يفتأون يطلبون منه المزيد . "

ونهض الصغيران من على الأرض ، وهرولا إليها يتعلقان بساقيها، ولوسي ذات الأربع سنوات تتوسل :

- " عمتي "روز" .. عصير سكواش .. سكواش .. سكواش " . فقالت الأم مذكرتلها في حلم :

- " قولي من فضلك "

ورفعت الصغيرة عينين واسعتين زرقاوين ، وقالت بكل توسل :

- " من فضلك " .

وابتسمت "روز" في حنان قائلة :

- " حسنا ، وانت ايضا يا بيتر ؟ " فهز الأشقر ذو العامين رأسه بوقار ، فانزلت "روز" الصينية على المائدة وقالت :

- " إذن فاستمرا في لعبكما حتى اعود " .

وسمعت "اني" وهي عائدة للمطبخ تنهر صغيريها :

- "والآن ! إن العم "جريف" لا يحب ان تضايقاه بالصعود على رجليه."

فضحك في سعادة حقيقية وقال :

-" لا باس ، إنهما لطيفان للغاية، فلم يتح لي مداعبة أطفال من قبل"

وركزت "روز" كل حواسها وهي تصنع العصير على المحادثة في الصالة المجاورة ، حيث قالت "اني" :

- " وا اسفاه ، اليس لك إخوة أو اخوات ، إذن ؟ "

- " كلا ، ولكن اصدقائي لديهم صغار بالتاكيد ، إلا انه لم يتح لي ابدا ان اقضي معهم وقتا طويلا ، لقد كنت دائما مشغولا بمشاغل الحياة ."

قالت "اني " في تعاطف حقيقي ، كواحدة نشأت في أسرة كبيرة ، وتود ان تبين تجربتها السعيدة بذلك :

- " واخسارتاه ! ولكن امامك فرصة لتعويض ذلك الآن . "

وانكمشت "روز" في داخلها لجراة صديقتها في التدخل في حياة

الرجل ، ولكنه بدا غير مهتم لذلك ، فرد وصوته يحمل رنة سرور :

- " ربما . "

واصرت "اني" على اسلوبها وسالت :

- " وهل انت ستتقاعد الآن ؟ "

- " ليس تماما ، ساشغل نفسي بامور اقل مشقة "

وتحاشت "اني " نظرات "روز" وهي عائدة بالعصير ، واستمرت :

- " كذا ! اتعلم ! لقد كنت اذكر لـ " روز" منذ عدة أيام ، ما الذي يدفعه لأن يترك شمس كاليفورنيا ليعيش في منطقة يوركشاير القديمة " .

وعادت تلك الابتسامة الغريبة إلى شفتيه واخبرها في شيء من التهكم :

- " إن "كاليفورينا" ليست كلها شمسا " .

قالت :

- " أعلم ، هناك الهواء الملوث ايضا .. ومع ذلك .. "

ودخل "باول" في هذه اللحظة ، وقال :

- " أسف إذا كانت زوجتي تسلقك باسئلتها ، فهي مركز إعلامنا كما تعرف"

فقالت محتجة وهو يطبع قبلة على جبهتها :

- " لست كذلك ! "

فقال بجفاء وهو يجلس بجوارها ويصب لنفسه كوبا من الشاي :

إذن فاهتمي بامور نفسك ، فقد لا يكون "جريف" راغبا في ذكر سبب حضوره للإقامة بيننا "

وهز "جريف" راسه قائلا :

- " لا سر في الموضوع ، لقد شعرت ان "لوس انجيلوس" لم تعد تعطيني فرصة للإبداع ، وطالما داعب خيالي تصور إنجلترا ، حتى بات انتقالي إليها امرا محتما . "

واصرت "اني" على استجوابها :

- " ولم يهمك هجر أصدقائك ؟ " فقال بفكاهة مشاكسة :

- " الم تسمعي عن وسيلة انتقال تسمى الطائرة ؟ "

واغرقت "اني" في الضحك قائلة :

www.elromancia.com

- " بكل تاكيد ، ومع ذلك فلست افهم لماذا ارتبي بردج بالذات ، لقد كنت اتصور لندن اكثر مناسبة لك " فهز كتفيه قائلا :

- " إن لندن بها قدر من مشاكل لوس انجيلوس . إنني انوي إنشاء ستوديو تسجيل هنا ، واحضر طاقم الفنيين اللازمين لكل مشروع على حدة ، وهكذا يكون لي السيطرة الفنية بالكامل . "وشهقت "اني" :

- " ستوديو تسجيل ؟! هل معنى ذلك اننا سنرى الكثير من النجوم هنا؟"فابتسم قائلا :

- " ليس الكثير ، قد ابدأ بتسجيلات لي ، إن لدي بعض العروض حول موسيقى لبعض الافلام . "

وسالها زوجها في حنان :

- " والآن ، هل انتهيت من استجوابك ؟ " قالت وهي تبتسم ابتسامة حلوة:

- " نعم " فادار وجهه إلى "جريف" وساله :

- " حسنا ، كيف حال العمل في المنزل ؟ " قال :

- "طبقا للبرنامج بصورة مرضية ، رغم بعض التاخير بسبب الجو، وهذا يدعوني لإخباركم بسبب زيارتي الآن . إنني مسافر للولايات المتحدة غدا ، ولااريد ان اعود قبل ان ارد لكم كرم ضيافتكم . ولذا فانا ادعو ثلاثتكم للعشاء معي هذه الليلة . "

وهز "بول" راسه اسفا وقال :

- " كان بودي ، ولكن لدي نوبة عمل مسائية الليلة " وتدخلت "اني" في الحديث :

- " وبالنسبة لي فجليسة الأطفال لن تحضر الليلة ، ولكن "روز" يمكنها تلبية دعوتك " .

وحملقت "روز" في صديقتها مرعوبة وقالت :

- " اوه ، كلا .. إني .. انا لا استطيع .. فانا "

فقاطعتها "اني " :

- " ولم لا ؟ "

وكان "جريف " يراقبها ، ولكن من المستحيل فهم تعبيرات عينيه . واخذت تبحث في لهفة عن عذرتعتذر به ، ولكن لم تجد . بالتاكيد إن

معنى ذهابها بمفردها يختلف كلية عن ذهابها في صحبة آخرين ، اليس كذلك ؟ ام انها ستعود للغباء ؟

وقبل ان تفيق لنفسها من المفاجاة ، قال "جريف" بطريقة عادية :

- " سامر عليك في الثامنة "

ولم تستطع سوى ان تومئ صامتة .

ووضع "بول" قدحه ، ونهض قائلا :

- " حسنا ، انتهت فترة الراحة . " وطبع قبلة على جبهة زوجته ، وداعب شعر طفليه قائلا :

إلى اللقاء ، إلى اللقاء "

ونهض "جريف" ايضا قائلا :

- " ومن المستحسن ان انصرف انا ايضا ، شكرا على الشاي ، اراكم فيما بعد ، إلى اللقاء يا "روز" واضاف بابتسامة ساحرة :

- " سارك في الثامنة "

وما إن اصبحا وحيدين ، حتى انبرت "روز" لصديقتها :

- " "اني"! لقد كان تصرفا سيئا منك ، لا يمكنني ان البي دعوته بهذه الصورة . " فردت صديقتها بعينين ملؤهما البراءة :

- " ولم لا ؟ "

قالت :

- " إنه لم يقصد ذلك منذ البداية ، وسيبدو الأمر كما لو كان .. "

فنهضت "اني" تجمع الاكواب وهي تقول :

- " لقد كان بإمكانه تصحيح غلطتي ، ولكنه لم يفعل ، لقد اخبرتك من قبل ، إنه مغرم بك " فقالت "روز" محتدة :

- " "اني" ! هذا غير صحيح ! "

فهزت "اني " كتفيها وعلى وجهها ابتسامة العارفة ببواطن الأمور . "

واقتربت الثامنة . وازداد توتر "روز" فاخذت تستعطف "اني" :

- " ارجوك ، اعتذري له ، اخبريه ان عمتي تموت بسبب الزائدة الدودية ، واضطررت للإسراع إليها " فهزت "اني" كتفيها ، ورفعت "روز" ناظريها إلى السماء قائلة :

- " من ينقذني من عدوة مثلك ؟ "

www.elromancia.com

فردت "اني" :

- " هراء ! إنك ستموتين شوقا إلى الذهاب ، وانا اتميز من الغيرة ، اجلسي حتي اعد لك شعرك "

وما إن انتهت "اني" منها ، حتى كادت "روز" لا تعرف صورتها في المراة . فقد صففت لها "اني" شعرها في تموجات انيقة ، وكست وجهها بماكياج رائع اخفى ما في وجهها من كلف ، وبلمسة ظلال عيون خضراء بزرقة اظهرت عينيها متسعتين ، ربما لن تكون جميلة على الإطلاق ، ومع ذلك ...

واعترضت "روز" حينما اخرجت "اني" جونلة من القطيفة ، طويلة بديعة ، وقالت :

- " اني ، لا يمكنني ارتداءها ، ماذا لو سكبت عليها شيئا " قالت:

- " ستنظف على الناشف ويمكنك ارتداء هذه معها " وناولتها بلوزة من الحرير ، سوداء ذات ازهار متلالئة بلون الياقوت الازرق .

وتنهدت "روز" ، لا مجال للهرب هذه الليلة ، بل إنها تواقة للذهاب .. جافة الحلق خافقة القلب ، كشانها وهي طفلة واقفة في طابورشباك الملاهي ، ويدها قابضة على نقودها ورن جرس الباب ، فرفعت راسها بقوة قائلة :

- " إنه هو "

وهزت "اني" راسها وقالت :

- " نعم ، وانت تبدين فاتنة ، هيا قابليه واقض عليه " وكان "جريف" واقفا في الصالة مع بول ، مرتديا حلة داكنة رائعة التفصيل ، ولكنه بدا في عيني "روز" كفهد مفترس . ورفع نظره إليها وهي هابطة على الدرج ، ورات تعبيرات على وجهه جعلتها تلتفت وراءها لتنظر إلى من يتجه ببصره ، وسرت رعدة ببدنها وهي توالي نزولها ، وقد زادتها الثقة الجديدة التي تولدت فيها بهاء .

وغمغم وهو يخلي لعينيه العنان في التفرس فيها :

- " مساء الخير ! " وردت عليه :

- " اهلا " وتمنت الا يلاحظ ما في صوتها من اضطراب . وعلت ضحكة "اني" من ورائها :

- " عظيم ، هيا انطلقا واستمتعا بوقتكما ، لن يهمني ، في اية ساعة تعودين، فساترك لك الباب غير موصد " .

فردت بسرعة مؤكدة :

- " لن اتاخر ، فانا اخشى ان اتحول إلى صورتي الحقيقية عند الثانية عشرة مساء "

ودفعتها "اني" وهي تواصل الضحك :

- " اوه ، يالك من فتاة ، الا تكفين عن هذا الهراء "

- " بربك هل رايتها هكذا من قبل يا بول "

- " ليس بهذه الفتنة "

وضحكت "روز" بعصبية وهي تقول :

- " إنها تريد ان تبين لك كيف تصنع من الفسيخ شربات " .

فغمغم لها "جريف" وهو يساعدها على ارتداء المعطف " :

- " إنك تكررين هذا مرة اخرى ؟ "

فسالته مبتسمة :

- " اكرر ماذا ؟ "

قال :

- " تبخسين نفسك قدرها ؟ "

فردت بشيء من المرح :

- " بيدي لا بيد عمرو " فجاوبها بضحكة قائلا :

- " ربما استطعت ان اعلمك ان تفكري بطريقة مختلفة . "

وشعرت "روز" بقلبها يتراقص ، ولكن صوتا خافتا في اعماقها همس لها بالحذر . فرغم الفاظه المنمقة ، لم تكن تستطيع ان تزيل الشك من قلبها عندما يلعب لعبة لا تفهمها .

إنه ثري ووسيم .. وكل ما يحتاجه في متناول يده ، ربما يكون شاعرا بالملل ، ويبحث عن شخص هش يتسلى بتحطيمه . فلتكن إذن منه على حذر .

وكان هواء الليل قارس البرودة ، وفتح لها "جريف" باب السيارة فدلفت إليها، وهي تحاذر ان تحتك به ، وحينما احتل مكانه امام عجلة القيادة ، عادت تفقد توازنها لقربه منها .

www.elromancia.com

وحاولت أن تنظر إلى وجهه ، ولكنها وجدت نفسها تتأمل يديه البارعتين وهو يبعد السيارة عن الرصيف . يدان جميلتان للاعب بيانو ، ذات أصابع طويلة ورشيقة ، لكنها قوية كما يدل على ذلك قبضتها على عجلة القيادة . "

وكانت بشرته لا تزال تحمل آثار شمس كاليفورنيا ، وانزعجت "روز" لتصور ارتطام يده بجسدها وهو يبدل سرعة السيارة ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فتحول انزعاجها إلى خيبة أمل .

وسألها :

- " هل تحبين الطعام المكسيكي ؟ " فرمشت في دهشة :

- " ماذا ؟ حسنا ، لم أتذوقه في حياتي "

قال :

- " ها قد آن الأوان لتفعلي " فسألته :

- " ولماذا مكسيكي " قال :

- " لأن طباخي مكسيكي " قالت :

- " كذا ! إن هذا منطقي " .

وسرحت بخيالها إذ فجر رده عشرات الأسئلة في رأسها .

ورماها بنظرة مرحة ، عالما بما هي عليه من فضول ، وقال :

- " لقد استدعيت تينو وچانيتا إلى منزلي الجديد " فهزت رأسها غارقة في التفكير :

- " أوه "

كان بريوري قد زود بمجموعة جديدةمن البوابات ، فتحها "جريف" بلمسة لأحد الأزرار في سيارته ، ولوت "روز" شفتيها في سخرية قائلة:

- " إنك تشدنا إلى عصر الثورة التكنولوچية ، أليس كذلك ؟ هليكوبتر ، ستوديو تسجيل ، بوابات تفتح من بعيد :

-"ماذا ؟ ألا تحبين التقدم ؟" فقالت بلهجة لاذعة :

- " أوه ! أهذا هو التقدم ؟ " فقال ضاحكا :

- " لعلني كنت مخطئا ، لقد ظننت أن الأنوار في كوخك تضاء بالكهرباء، لعلها كانت شموعا إذن " .

فحملقت فيه لحظة ، ثم انفجرت ضاحكة وقالت :

- " حسنا ، ربما كنت من أعداء التقدم فعلا ، ولكني لا أستطيع الانتظار لرؤية المنزل من الداخل ، يقال إنك أدخلت فيه الليزر ، ونظاما للاتصال بالأقمار الصناعية بينك وبين الخدم في أرجائه " فرد بلهجة جادة:

- " ليس إلى هذه الدرجة " .

وتوقفت السيارة ، ودار ليفتح لها بابها ، وعاد لها توترها وهو يأخذ بيدها ليساعدها على النزول . فتراجعت عنه بمجرد أن تمكنت من الوقوف وهي تغمغم:

- " شكرا لك "

ولما كان واعيا لما هي فيه من توتر ، فإنه لم يعلق ، بل ظل واقفا يدعوها للتقدم إلى الباب الخارجي ، وما إن فتح وهي تعبر الشرفة ، حتى وجدت نفسها تستقبل بترحاب في المنزل الإنجليزي من العصور الوسطى بواسطة رجل مكسيكي متقدم في السن في بذلة صفراء فاتحة اللون ، قدمه لها "جريف" :

- " هذا تينو ، تينو ، رحب بـ " روز" فمد الرجل يده لها منحنيا وقال :

- " مرحبا بك "روز" " والتفت لسيده سائلا :

- " أترغب أن أقدم العشاء فورا سيدي ؟ "

وأستدار "جريف" يساعد "روز" على خلع معطفها ويناوله لـ"تينو" قائلا:

- " نعم ، من فضلك " ثم وجه حديثه لـ " روز" :

- " ها هي الصالة ، لا ليزر ولا يحزنون . " فادارت بصرها في الصالة ، وقد كسيت جدرانها بالخشب الزان والستائر ، وقالت مذهولة :

- " يا إلهي، لابد أن هذا قد كلفك ثروة ، لقد كانت في حالة يرثى لها." فقال بسخرية جافة :

- " لقد بعثرت بعض الدولارات بالفعل ، وقد تكون بعض الغرف غير قابلة للمعيشة حالياً وأخذها إلى غرفة عن يمين الصالة وقال :

" في المستقبل ستكون هذه غرفة الطعام ، ليست بعيدة عن المطبخ ،

www.elromancia.com

ولكنها تخدم غرضين في الوقت الحالي ، غرفة جلوس وطعام " كانت غرفة رائعة مكسوة بالخشب كالصالة ، مضاءة بضوء غير مباشر بعدة مصابيح موزعة على الحوائط . والنيران تتاجج في مدفأة ضخمة ورمقته بنظرها قائلة :

- " لقد ظننتك قد ادخلت التدفئة المركزية " قال :

- " في بعض الأماكن فقط ، اما في هذه ، فالتدفئة المركزية قد تفسد كسوة الجدران .. اتريدين شيئا من الشراب قبل العشاء ؟ "

فقالت تساله :

- " في إنجلترا ، نقدم شرابا كفاتح للشهية . " قال :

- "كذا ، اسف الا يكون لدي شيء منه ، وعليك ان تدبري امرك بدونه" قالت وهي تضحك :

- " لا مشكلة " ورفع كاسه وقال :

- " نخب ماذا ؟ ؛ وشعرت بقلبها يدق في توجس ، فاتجهت إلى الناحية الأخرى من المدفأة وقالت :

- " ما رايك ، نخب المنزل الجديد .. مرحبا بك في ارنبي بريدج " .

وابتسم لها قائلا :

- "شكرا لك " ودلتها ابتسامته على انه احس بما هي عليه من توتر، وانه يستمتع بذلك . إنه رجل محير بصورة مزعجة ، تلمع عيناه مرة بضحكة تزيل عنها كل مخاوفها ، ثم تتحولان في اللحظة التالية لتنذرا بالسوء ، فتجعلا الدم يجمد في عروقها .

وارتاحت إذ سمعت طرقا على الباب ، وظهر تينو يدفع امامه عربة تروللي ويصيح في ابتهاج :

- " ها قد وصلت ، ما رايك في هذا الصنف يا "روز" ؟ قالت :

- "لست ادري .. لم يحدث ان تناولته من قبل " ـ" إطلاقاً ؟ " قالت :

- " لم يحدث ان تناولت طعاما مكسيكيا ، اللهم مرة واحدة من مطعم تيك اواي " .

وتبادل "جريف و"تينو" نظرات تعبر عن صدمة مبالغ فيها، ثم قال "تينو":

- " جانيتا" سوف تعلمك " ودفع بالعربة إلى مائدة موضوعة عند

نافذة تطل على الشرفة ، ثم عاد ادراجه وهو يواصل صياحه المرح :

- " بالهناء والشفاء يا "روز" . " فغمغمت له مرتبكة :

- " شكرا لك " .

وما إن اغلق الباب عليهما ، حتي قالت لـ "جريف" بابتسامة مبهمة:

- " إنه خادم غير عادي "

- "نعم ، اعتقد انه لا يماثل الخدم في البيوت الإنجليزية في طباعه" فرنت ضحكتها تملأ الغرفة وهي تقول :

- " كلا ، على الإطلاق . متى وصلا ؟ "

- " بالأمس ؟ "

فهزت راسها قائلة :

- " لقد تصورت ذلك ، لا يمكن ان يكونا قد وصلا من مدة ، وإلا لسمعت بالأمر . " فابتسم قائلا :

- " اعلم ، عن طريق جهاز نقل الأخبار في البلدة ، لقد بدات اشعربكفاءة في العمل . لقد ذهبت لشراء بعض الطوابع عصر هذا اليوم ، وعلمت انك احسن من يمكنها إخباري عن تاريخ هذا المنزل " .

ولم يفت "روز" ان تربط بين العبارتين ، رغم عدم الترابط بينهما ، إنه يلمح إلى ان خبر عشائها معه قد بدات تتناقله الالسن، فالعزيزة "اني" لا يمكنها ان تكتم امرا كهذا. "

وسالته وهما ياخذان مكانهما عند المائدة :

- " ما الذي تريد ان تعرفه ؟ "

- " كل شيء بالتاكيد " .

- " إن هذا امر يطول تنفيذه، فتاريخ المنزل يرجع للقرن الثاني عشر". فقال بابتسامة تثير الحيرة :

- " إن امامنا متسع من الوقت " .

فاخذت نفسا عميقا تخفي به اضطراب قلبها ، وقالت :

- " حسنا ، بالنسبة للجزء الأول ، الصالة الرئيسية ، بناها الفرسان التمبلارز " فقال باهتمام حقيقي :

- " التمبلارز ؟ "

قالت :

www.elromancia.com

- " نعم - كانوا في منتهى القوة في ذلك العصر ، وامتلكوا ضياعا شاسعة في اوروبا " واخذ يستمع لها في اهتمام وإعجاب وهما يتناولان الطعام . وكانت مترددة في بادئ الأمر بالنسبة للطعام المكسيكي ، ولكن ما لبثت ان وجدته شهي المذاق . "

وسالها :

- " ايعجبك ؟ "

قالت :

- " مم نعم "

قال :

- " هاك ، خذي بعضا من هذا الحساء ، احد الأصناف المتميزة لـ"جانيتا" ، دجاج وليمون .. واشياء اخرى تحتفظ هي بسرها " .

ورمته بنظرة متسائلة :

- " لابد انهما متعلقان بك إلي درجة رهيبة ، حتى ينتقلا عبر نصف الكرة الأرضية ليقوما بخدمتك " . فهز كتفيه قائلا :

- " إن "جانيتا" تعتبر اما ثانية لي " وكانت لهجته لا تشجع على المزيد من الأسئلة ، ولكنها لم تكن لتترك موضوعا كهذا ، فعالجته من زاوية اخرى . "

- " وما هو رايهما عن يوركشاير ؟ " فرد بجفاء :

- " وجداها باردة الجو . لقد كنت تحكي لي عن الفرسان التمبلارز ، ماذا حدث لهم ؟ ".

واذعنت ، وقد بدا مصمما الا يدعها تواصل اسئلتها :

- " لقد قضي عليهم عام ١٣١٢ ، ووزعت ممتلكاتهم ، فال هذا المكان للرهبان ، الذين احالوه إلى دير ، وبنوا الجناح الآخر ، ويمكنك تصور ذلك من شكل النوافذ " .

وما ان انتهيا من الحساء ، حتى احضر الصنف التالي ، حذرها منه "جريف":

- " ستجدينه حريفا ، ولعلك تودين تخفيفه بهدا " وتناول قنينة النبيذ من الدلو الممتلئ بالثلج ، وصب كاسها ، ولكنها قالت :

- " شكرا ، إني اميل للطعام الحريف " ورشفت رشفة من النبيذ

وسالها:

- " هل اعجبك ؟ "

قالت :

- " نعم "

وقال لها :

- " إنه من مزرعة العنب التي امتلكها . إننا لا نصنع منه الكثير ، وايضا لانسوقه بسهولة ، وينتهي بي الأمر ان اوزعه بلا مقابل " .

واستمرت مع طعامها ، يقتلها الشوق ان تعرف المزيد عن حياته في امريكا . ولماذا قرر ان يهجرها ، ولكنها خشيت غضبه لو لاحقته باسئلتها ، فقد سبق واخبرها انه يريد المحافظة على حياته الخاصة ، وحتى حينما كان نجما مشهورا ، لم يكن يعرف عنه الكثير .

وقال لها مشجعا :

- " واصلي ، لقد وصلت لعهد الملك هنري الثامن " قالت :

- " صح . بحلول عام ١٥٤٠ كانت اغلب الاديرة قد بيعت لعائلات ثرية ، وحولت إلى منازل خاصة وكان هذا من نصيب آل مورفيل "

- " لقد كان هذا "ايزل مورفيل ؟ اليس كذلك ؟ "

- " كلا ، إن هذا النبيل عاش في وقت لاحق . في عهد الملك جورج الرابع ، ولكنه من نفس الأسرة . "

واخذ يشجعها على الحديث وتينو يحضر الصنف تلو الآخر ، كل صنف اشد حرافة من سابقه ، وساعدها على ذلك النبيذ المثلج ، ولم تدرك كم شربت إلا متاخرا ، كل ما كانت تحس به هو انها قد بدات ترتاح لصحبته ، وكانها تعرفه من وقت طويل ، وبدا وكان صوت التحذير الذي يهمس لها قد خمد تحت وطاة إحساس خادع بالأمان .

وسالها "جريف" وعيناه تبتسمان :

- " الم يكن اي من آل مورفيل على درجة من اللياقة ، لشغل هذا المنزل؟" فانفجرت ضاحكة :

- " لا اعتقد ، ولكنهم كانوا قوما متوحشين ، قد يشربون حتى الموت، او ينتهون بصورة مشينة اخرى ، ولا اظنك تسعد بمشاركة منزلك مع شبح مزعج او سكير " فقال وهو يتظاهر بالاهتمام :

- " كلا ، بالتاكيد ، وماذا حدث بعدهم " .

- " آل البناء إلى بعض ابناء عمومتهم الذين كانوا متمسكين بالفضيلة إلى درجة الصرامة ، ولا اعتقد انك سترحب بشبح منهم ايضا "فهز راسه موافقا واستطردت :

- " وفي الحرب العالمية الأولى استخدم المبنى كمستشفى ، ثم كمصحة عقلية " .

- " لا اتمنى ان يكون احد منهم لا يزال يتجول في المنزل " : فقالت وعيناها تتراقصان :

- " لم اسمع بشيء كهذا . المهم ، اغلق المنزل في الثلاثينات ، حتى الحرب الثانية ، حيث اصبح بناء تحيط به الأسرار ، وبعدها أحيل إلى دار رعاية للاطفال تابعة لجمعية خيرية ، وكان على هذا الوضع عند طفولتي فكنت احضر كثيرا للهو فيه . واغلق بعد ذلك منذ حوالي اثني عشر عاما ، وكانوا يزمعون تحويله إلى فندق ، ولكن الشركة افلست ، واصبح ملكا للبنك منذ ذلك الوقت، يستعملونه في بعض الأوقات للاجتماعات ، ولكنه خال لأغلب الوقت " .

وقرع كاسه كاسها قائلا :

- " يا لها من اسطورة ، لم اتخيل كل هذه التطورات بالبناء "

- " همم ، ولكنه مبنى غاية في السعادة الآن " ومدت يدها لتلمس حجارة نافذته الباردة ، وقالت ضاحكة :

"لا تلق بالا لما اقول" ورفعت كاسها فتجرعته دفعة واحدة في عصبية وقالت:

- " لقد كانت وليمة فاخرة " ولمعت عيناها بشدة . هل تكلمت اكثر من اللازم ؟ كان الشراب ثائرا في عروقها ، فخف له راسها .

- " انا سعيد انها اعجبتك "

تبا للرجل ! لماذا يبتسم لي هكذا ؟ كما لو كان يغريها بعينيه ؟ واسوا من ذلك ان تشعر بنفسها تستجيب له .

الفصل الخامس

جفلت "روز" حينما فتح الباب فجاة ، ودخل "تينو" حاملا صينية القهوة . كم مضى عليها وهي تحملق في "جريف" ؟ لو كان قد وجد تصرفها غريبا ، فهو على الاقل لم يعلق . وتمالكت نفسها بصعوبة وسالها "تينو" كما لو كان صديقا لها منذ سنوات :

- " اتريدين قهوة يا "روز"؟" فجاهدت لتقول :

- " نـ .. نعم من فضلك "

- " كريمة ؟ "

- " نعم .. بلا سكر "

وابتسم لها :

- " إنك لا تتبعين ريچيما ، اليس كذلك ؟ " فانفجرت بالضحك :

- " رباه ، كلا ، إنني في غاية النحافة بالفعل " .

وغمغم "جريف" :

- " انا لا اقول ذلك " ثم ضحك بمرح وقال :

- " اتعلمين شيئا ؟ إنك اول فتاة اصادفها تجاوزت الخامسة عشرة

www.elromancia.com

يمكنني ان اجعلها تتورد هكذا ! "

وتوردت وجنتاها اكثر ، ورفعت ذقنها ، غاضبة من نفسها ان تتصرف كتلميذة بهذا الشكل . وصب "تينو" القهوة ثم جمع بقايا الطعام ، واخذت "روز" تقلب القهوة غائبة عن الوعي ، وهي تحملق عبر النافذة .

كانت اضواء القرية تتراقص امام عينيها بعيدة اسفل التل ، وبعدها الظلام التام ، اللهم إلا من بعض الأضواء المزدوجة لكشافات السيارات التي تعبر الوادي . وكان القمر والنجوم مغطاة بالسحب ، والبراري مختفية عن النظر .

- " هل انتهيت من تقليب قهوتك ؟ "

وحملقت فيه مرة اخرى ، وانتبهت لطرق ملعقتها لجدران القدح . كان يبتسم لها ، عالما بالضبط سبب اضطرابها . إنه هو السبب ، يفعل ذلك بكل عمد . كان يخضعها لسحره ، ويقيدها بقيود لا ترى تجعلها تحت سيطرته تماما .

واخذت ترشف قهوتها متجنبة عينيه . لقد كان شيئا غبيا ان تتصرف هكذا وهي في هذه السن . من المفترض ان تحسن التصرف في هذه المواقف ، ولو كانت "ثاي" مكانها ، لعلمت بالضبط ما يجب عليها ان تفعله ، او حتى "كريسي" .. ذات الواحد والعشرين ربيعا !

واخذت نفسا عميقا لتستجمع رباطة جاشها ، واجبرت نفسها على الكلام :

- " والآن ، وبعد ان رايت المكان جيدا ، هل ستكون سعيدا فيه "

وتمنت ان يبدو صوتها رزينا .

- " انا متاكد من ذلك "

وكان ينظر إليها مباشرة ، كما لو كان يلمح إلى ان وجودها احد اسباب تاكده من ذلك وحذرت نفسها كوني على حذر يا روزالين ، فجانبيته هي راس ماله ، وهو لا يتردد في استخدامها ، ومضت تتمتم :

- " اخشى ان نكون قد اعطيناك فكرة اولية سيئة عنا ، اقصد ليلة امس ، إن الخلاعة امر .. يحدث في القرى الصغيرة كما في كل مكان

في العالم "

- " وكذا الغيرة "

- " الغيرة " وحركت يديها في عصبية :

- " اوه ، إنني لا اغير من "ثاي" على الإطلاق "

- " لم اقصد انك تغيرين منها ، إنها هي التي تقتلها الغيرة منك "

- " "ثاي" ، تغير مني انا ؟ " وبدا لها ان تنفجر في الضحك .

اما " جريف" فقد هز راسه مؤكدا : اكاد اراهن ان زوجها قد ندم اشد الندم علي ان تركك واختارها ، ويمكنك ان تثقي في ذلك اشد الوثوق "

وعضت "روز" شفتها ، متذكرة مغازلات "ستيوارت" لها بعد زواجه ، وقد كرهته لذلك - واحتقرت نفسها ان اعطته السبب ليعتقد انها سهلة المنال - ولكن افتراض "جريف" غاية في السخف - وهزت راسها في نفي قاطع قائلة :

- " كلا ، لا يمكن - انا متاكدة انك مخطئ إن "روز" فاتنة " .

وضحك لها بعذوبة :

- " اتعلمين ؟ إنه رغم ذكائك ، يبدو عليك الغباء احياناً ورمقها بتلك النظرة التي تذيب اية امراة :

- " لابد انك تعلمين ان الامر يتطلب اكثر من كون المراة جميلة لتدير راس الرجل " .

وكان صوته غاية في الرقة والعذوبة ، وكان عليها ان تبذل المزيد لمقاومته ، فقالت بابتسامة جافة :

- " بكل تاكيد .. لابد من جسد فاتن ايضا "

وهز راسه :

- " ساقول لك شيئا حول النساء الجميلات ، ما إن يصل المرء لإحداهن ، حتى يكن جميعا سواء ، وسرعان ما ينتهي تاثير الفتنة في ايام وتصبح الواحدة منهن مثيرة للضجر ، ولكنك تمتلكين اشياء اخرى "

- " ماذا ؟ ملايين من بقع النمش ، وعقل ؟ "

- " يا لها.من تركيبة قاتلة ! "

ولم تكن مستطيعة ان تتحمل المزيد .. واخبرتها رعشة يدها ان

تضع قدح القهوة وهي تقول :

- " شكرا لك على العشاء " .

- " لن تنصرفي الآن " وكان هذا تقريرا اكثر منه رجاء ، " إنك لم تري المنزل بعد ، ويهمني ان اعرف رايك "

وتنازعها شعور الواجب ان تنصرف ، ورغبتها في البقاء ، فقالت مترددة :

- " اوه .. حسنا "

وابتسم ناهضا :

- " حسنا ، هيا بنا "

وندمت للحظة لموافقتها ، وشعرت بساقيها لا تقويان على حملها ، وبذلت كل ما لديها من قوة لتقف معتدلة .

وكان المنزل متاهة من الممرات غير المستوية والسلالم غريبة المنظر ، وجاءت ذكريات اللهو خلالها حية في ذهن "روز" مع الاولاد الذين كانوا يتخذون من المبنى منزلا لهم . وكانت اجزاء من المبنى لا تزال تحمل اثار الإهمال ، ولكن الأيدي الماهرة كانت بسبيلها ان تعيد له جماله .

ووصلا خلال طريق ملتو إلى الغرف الرئيسية في الطابق الأرضي ، وادخلها "جريف" إلى غرفة واسعة الأرجاء ، وقال :

- " ستكون هذه قاعة للاستقبال . وكانت اثار اعمال الترميمات واضحة ، ومعدات العمال مكدسة بجوار مدفاة صفراء اللون .

وقالت "روز" :

- " إني لا اتذكر هذه المدفاة "

قال :

" لقد كانت كسوتها الخارجية قبيحة المنظر وسوف نعيد تكسيتها باحجارها الأصلية ، وستعود في روعة مدفاة غرفة الطعام" ولم تغامر بالوقوف ساكنة ، حتى لا تعطيه فرصة للاقتراب منها ، فتحركت عبر ممشى ذي سقف مقوس ، وقد نزع الباب المزدوج الذي كان في نهايته ، وسالته :

- " إلى اين يؤدي هذا ؟

وتبعها ، واضاء النور ، ووجدت نفسها في حجرة انيقة رائعة

الترميم ، وفي وسطها بيانو ضخم مغطى بغطاء مانع للاتربة .

وسالت في دهشة :

- " كيف بالله ادخلتم هذا هنا ، فرد عليها :

- " بصعوبة "

وتجولت في الحجرة ، ووجدت حول المدفاة كثيرا من التجاويف الممتلئة بالكتب وكرتونات مكدسة بكتب اخرى تنتظر ان توضع بجوار زميلاتها . وحانت منها التفاتة إلى ارفف الكتب ، لترى اي نوع من الكتب يقتني ، متاكدة من ان هذا سيلقي بعض الضوء على شخصيته.

وكانت مجموعة موحية فعلا .. خصوصا مع ما يبدو عليها من حسن استعمال . وكانت تجمع من كتب الفنون المصورة ، إلى تكنولوجيا الإلكترونيات.

وفجاة ، سرت رعدة في بدنها إذ وقعت عيناها على ما هو مالوف لها ، " في محراب القانون " . وسحبته واخذت تقلب فيه ، وصورتها على صفحة النهاية تطل لها مشرقة بالابتسامة .. اوه ، لكم يكون الامر شاقا عليها ان يؤخذ لها صورة جيدة .

وتقدم ليقف بجوارها :

- " ارايت يا "روزالين هاموند" .. لقد تعرفت عليك قبل ان تعرفيني ، فانا من كبار المعجبين بك " واخذ قلما ناوله لها وقال :

- " هل توقعين عليه من أجلي ؟ "

وحملقت فيه بلا تعبير في عينيها - لقد كانت متاكدة من انه يسخر منها ، رغم انها لم تر ذلك في عينيه ، ووضعت توقيعا سريعا بصورة اوتوماتيكية حيث اشار بإصبعه ، وتناول منها الكتاب ووضعه بعناية في مكانه ، وقال :

- " شكرا ، إن بقية مجموعتك في مكان ما هنا ، ربما لا تزال في الكرتونات"

ورات نفسها تضحك بطريقة هستيرية وهي تعيد له القلم، وقالت :

- " لم اكن اتصور انك مغرم بالتاريخ " فقال موبخا :

- " وهذا يعطيك درسا الا تحكمي بالمظاهر ، لماذا لا اكون مهتما بالتاريخ ؟ " قالت بإغاظة متعمدة :

www.elromancia.com

- " إن هذا لا يناسب صورتك العامة كنجم لموسيقى بوب " فقال وهو يضحك معترضا :

- " نجم بوب ! إن لسانك سيوردك يوما مورد الهلاك يا آنسة "هاموند" "وجذبها من ذراعها إلى البيانو ، وهو يكرر :

- " نجم بوب ! هم ! "

وازاح غطاء الآلة الموسيقية ، وهو يجلس على الكرسي ، وسرعان ما كانت اصابعه تنساب على مفاتيحها العاجية في رشاقة رقصات شعبية بولينية سريعة الإيقاع ، وهو يركز عينيه في عينيها بتحد ، وشعرت بقلبها يتراقص بين جوانحها ، وجسدها يود لو يتجاوب مع هذه الرقصات .

وانتقل إلى الحان حالمة لبرامز، وتجاوبت اوتار البيانو مع لمساته تجاوبا ساحرا ، كما لو كان قد بعث فيها الحياة ، والألحان تتصاعد غنية ثم تخفت إلى همس حالم . ورنت ببصرها في افتنان إلى يديه وهي تداعب الموسيقى ، ولسع النار يتصاعد في عروقها ، وانتابها شعور لحظي جامح كما لو كانت اصابعه تلامس جسدها .

وانتهت الألحان الحالمة و بدا يتلاعب بالأوتار في تكاسل ، ثم يتصاعد بالأنغام في ثقة لتنسق في لحن لم تسمعه من قبل ، واخذت تراقبه ، شاعرة بانجذاب شديد إليه بصورة اكثر عمقا وغموضا من الانجذاب الجسدي الذي تشعر به تجاهه كلما كانت في صحبته .

وتابع عزفه متنقلا بين الاغاني حديثها وقديمها وشاركته بالنقر على آلة البيانو وهما يتضاحكان ، ثم امرته بالنهوض ، وحلت محله تعزف المقطوعة الوحيدة التي تعرفها ، وهو وراءها يشجعها بحماس، وسرعان ما اندمجا في اغنية مشتركة ثم في ضحك هستيري لا ينقطع.

وقبل ان تدرك تطور الأمور ، كان الضحك قد تحول لقبلة منه ، تحولت إلى المزيد والمزيد . وشعرت بمقاومتها تقل رويدا رويدا .

وهمس في اذنها :

- " هيا بنا إلى الطابق الأعلى " .

وايقظت فيها هذه العبارة حواسها ، كماء بارد انهمر على راسها ، فجاهدت ان تقف وقد احتقن وجهها وهي تشيحه بعيدا عنه .

وسالها في صوت أجش :

- " ما الخطب ؟ " فانهمرت الدموع من عينيها وقالت متلعثمة :

- " إنني .. آسفة " فقبض على ذراعها حتى كادت اصابعه تنغرس في لحمها :

- " آسفة ؟ ايتها الفاجرة الصغيرة ، ما هذه اللعبة التي تلعبينها معي ؟ " فقالت بصوت واهن :

- " إنك تؤلم ذراعي " .

ودفعها فانكفات على البيانو ، واتجه إلى المدفاة ووقف واضعا يده على الحائط وقال :

- " من الأفضل ان تنصرفي " .

وحاولت ان تتمالك نفسها وهي تقف فوجدت ساقيها كانهما من الماء ، وهمست :

- " "جريف" .... "

وصرخ فيها :

- " قلت انصرفي ! إنني لم آخذ امراة في حياتي قسرا ، ولا اقوى ان افعل هذه الليلة " .

واسرعت بمغادرة الغرفة ، وبطريقة ما وصلت الباب الخارجي ، وهب هواء الليل البارد على كتفيها وهي تخطو خطوات غير ثابتة في صندل "اني" عالي الكعبين . ورغم زلاقة الأرض بفعل الجليد ، فقد راحت تعدو وكان شياطين الجحيم منطلقة خلفها .

وقبل ان تصل إلى نهاية الممر سمعت صوت محرك الجاجوار يشق صمت الليل ، وكانت قد فقدت القدرة على الجري ، فسارت رافعة راسهالتحاول كبح دموعها المنهمرة وتوقفت السيارة بجوارها ، وفتح لها الباب وقال في صوت مقتضب :

- " ادخلي "

فقالت بكل عزة نفس استطاعت حشدها :

- " كلا ، شكرا لك "

فعاد يكرر في صوت مجهد :

- " لو سمحت ادخلي ، لقد وعدت الا المسك ، ولكن لن اسمح لنفسي

أن اتركك تعودين سيرا على الأقدام من هنا " .

وكان صوته خشنا، ولكن نغمة الجد فيه لم تدع لها مقاومة ، فدخلت بعد تردد. ولم ينظر إليها، وكانت أصابعه متشنجة على عجلة القيادة، حتى ابيضت سلامياتها .

وقال مزمجرا وهو يدفع عصا القيادة ، والأبواب تفتح :

- " حسنا ، إنني آسف " فردت بصوت خافت :

- " وا.. انا ايضا "

- اعلم انك كنت تتوقعين أمسية اخرى ، مع وجود بول و"آني" " .

وقاطعها بضحكة ساخرة :

" لقد دعوتهما فقط لعلمي انك لن تحضري بمفردك "

وحملقت فيه في الظلام، فرماها بنظرة من نظرات السرور الساخر وقال :

" ما هذه العقد التي تعيشين فيها يا "روزالين هاموند" ، من الخير انني متوجه إلى أمريكا غدا ، إذ لن أستطيع ان اتحملك هكذا "

- " إنني متاسفة " .

- " كما انك لست مضطرة لمواصلة الاعتذار " وتوقف بالسيارة أمام منزل "آني" ، ثم مد يده وامسك بيدها ، وقال في صوت يفيض بالإخلاص :

- " انظري ، إنني بكل امانة في غاية الأسف ، فليس من عادتي ابدا ان افقد اعصابي حينما ترفضني امراة "

فقالت بابتسامة متهكمة :

- " وهذا نادر الحدوث طبعا "

قال :

- " فعلا . والآن ، لقد تصرفت كوغد حقير ، أليس كذلك ؟ "

وتمكنت من النظر في عينيه نظرة خاطفة، ثم هزت راسها وهمست:

- " كلا "

وابتسم لها :

- " امعنى هذا اننا عدنا أصدقاء ؟ "

قالت :

- " بالتاكيد ، إذا كان هذا هو كل ما تريد " فقال في صوت عذب :

- "ليس هذا كل ما اريد ، ولكني ساقنع نفسي به في الوقت الراهن" ورفع يدها في هدوء ، ثم طبع قبلة على راحة يدها ، ثم طوى أصابعها على هذه القبلة وغمغم بعذوبة "

- " إلى لقاء ، يا "روزالين" الجميلة "

وغمغمت :

- " تصبح .. بخير علي خير " ومدت يدا محمومة تبحث عن مقبض الباب ، وما إن وجدته حتى فتحت الباب ونزلت مسرعة .

وجاءها صوته :

- " لا تنسي معطفك " ومد يده به لها . فقالت متلعثمة :

- " شكرا ، وشكرا على العشاء ، لقد كان غاية في اللطف "

ولمعت عيناه في الظلام :

- " انا سعيد انك تمتعت به "

ثم اغلق الباب ووقفت تراقبه وهو يتراجع بسيارته ، كما لو كانت قد قدت من صخر ، وفي لحظات كانت الأضواء الخلفية تختفي رويدا رويدا في الظلام .

يستيقظ منزل آل أوسبورنفي السابعة صباحا ، فترى الأطفال به يصرخون طلبا للطعام ، وتسمع رنين التليفون من مرضى "بول" يستحثونه على العمل . لم تذق "روز" طعم النوم تلك الليلة إلا لماما ، إذاخذت تتقلب في فراشها وهي تسترجع كل لحظة من لحظات مدة تعارفها على "جريف" القصيرة . وما إن تسللت اول تباشير الفجر من خلال الستائر ، حتى نهضت إلى النافذة ، ووقفت تتطلع خلالها للسماء الداكنة ، تتخيل الطائرة التي ستاخذه بعيدا ، بعيدا .

وشعرت نفسها احسن بعد حمام دافئ ، مستعدة لمواجهة فضول صديقتها . وتجمعت كل الأسرة حول المائدة في المطبخ حجرة واسعة مضيئة خلف المنزل وكان "بيتر" الصغير على كرسيه العالي ووجهه ملطخ بغذائه ، يجلجل بالضحك وهو يتحدى والدته ان تدخل الملعقة في فمه ، وتوقفت "آني" عن اللعبة بدخول "روز" إلى المطبخ .

وحيتها بمرح :

- " صباح الخير ايتها النؤومة ، هل عدت متاخرة ليلة امس ؟ "
فردت بابتسامة مشرقة :

- " ليس متاخرا جدا " وجلست إلى المائدة ، وصبّت لنفسها قدحا ، وحيت "لوسي" :

- " اهلا "لوسي" ، يا له من تي - شيرت بديع ما ترتدينه " وضحكت "لوسي" مزهوة بالوان قميصها الناصعة .

وتابعت "اني" مصرة :

- " حسنا " فقالت "روز" بلا مبالاة :

- " تناولنا العشاء ، إن لديه طباخين من المكسيك ، حضرا لتوهما من "كاليفورنيا" ، "تينو" و "جانيتا" ، لم اقابل جانيتا ، اما تينو .. "

وقهقهت "اني" نافذة الصبر :

- " متى ستقابلينه مرة اخرى ؟ " فهزت "روز" كتفيها في غير اهتمام محسوب وقالت :

- " قد اصادفه في اي وقت بعد عودته من امريكا " .

- " اوه بيتر .. إياك .. كف عن نبذ الطعام من فمك .. هيا ، افتح فمك واسعا لمامي ... "

وحينما تمكنت "اني" من الالتفات لـ "روز" مرة اخرى ، كانت هذه منهمكة في حديث حاد مع "لوسي" . حول مباهج الالتحاق بالحضانة ، ثم دخلت السيدة "بتروورث" ، الكنز اليومي للاسرة ، لتزيد من الهرج ، وقام "بول" مسرعاً اثر استدعاء تليفوني ، وكانت "روز" قد انهت فطورها .

وقالت "اني" وهي تنظر لطبق صديقتها :

- " اهذا كل ما اكلت ؟ قالت :

- " نعم ، وشكرا لك ، لقد كان فطورا وفيراً "

- " ما هذا الذي تقولين ؟ ! لا غرو ان تكوني بهذه النحافة ! اجلسي وستقوم مسز "بتروورث" سريعا بتجهيز طبق من البيض واللحم " .

وقالت السيدة الطيبة بزهو :

- " نعم ، اجلسي ، ولن يستغرق الأمر لمحة " .

وضحكت "روز" معترضة وقالت :

- " كلا ، بكل امانة ، لقد اخذت كفايتي ، انا لا اكثر من الطعام في الإفطار "

وكما لو كانت لا تزال في عمر "لوسي" ، انهالت عليها "اني" بالتقريع:

- " انت لا تكثرين من الطعام في اية وجبة . وسوف اعمل جهدي على ان يزيد وزنك شيئا ما قبل ان يعود "جريف" ، فالرجال كما تعلمين يريدون شيئا ذا قيمة بين ايديهم " .

وردت "روز" بحسم :

- "حسنا إنني لن اخرج معه مرة اخرى ، ولذا فلا يهم ذلك . والآن ، من الأفضل ان اسرع لمنزلي ، لاتدبر امري بالنسبة له . كيف بالله ساجد سباكين يحضرون في هذا الوقت إلى هناك ، إنهم مشحونون بالعمل في هذه الايام " وقبل ان تعطي صديقتها مزيدا من الفرص للتساؤل، هرعت للصالة وارتدت معطفها ثم عادت للمطبخ وقالت لأني:

- " مع السلامة " وكان وجه "اني" خليطا من شتى المشاعر ، الإشفاق، والفضول، والرغبة الملحة ان تجلس صديقتها امامها لتعطيها بعض النصائح فيما يتعلق بالرجال ، ولكن الصغار كانوا يتململون ليغادروا مائدة الطعام ، ولذا فقد اكتفت بالقول :

- " انتبهي لخطواتك جيدا "

كان الكوخ باردا مشبعا بالرطوبة ، بدا مقفرا بعد المنزل المليء بالبهجة لدى "اني" . وانبات النظرة الأولى عن حاجة المنزل لصيانة شاملة . وتنهدت ثم اتجهت للصالة ووضعت التليفون على ركبتيها ، وبدات في طلب الأرقام.

وبعد بضع عشرة مكالمة ، لم يكن الحظ قد حالفها ، نفس القصة مع كل رقم: - " غاية الأسف يا فتاتي ، إنه خارج منطقتنا " وطلب منها واحد او اثنان ان تعاود الطلب بعد بضعة اسابيع وشدتها رغبة في ان تسالهم إذا كانوا متوقعين ان تتزحزح "ارنبي بردج" بالكامل من مكانها .

وجعلتها طرقة غير متوقعة تفزع في مكانها فوضعت الجهاز واتجهت للباب ، حيث كان رجل متين البنيان في ملابس عمال نظيفة يقف على عتبته . وسالها بادب :

- " آنسة هاموند ؟ " وهزت رأسها فاستطرد :

- "فهمت أن المواسير قد انفجرت لديك ، وجئت انظر ما يمكن عمله".

وفتحت له الباب على مصراعيه وقد غمرها الارتياح وقالت :

- " اوه ! من اي شركة انت ؟ فقال :

-"لسنا من المنطقة يا آنسة ، إننا نعمل في المنزل القديم فوق التل".

وسالته متحيرة :

- " بيريوري ؟ "

- " نعم ، لقد توقفنا عن العمل مؤقتا في انتظار بعض المهمات . وقد ترك لنا صاحب المنزل رسالة ان نحضر إلي هنا في امر عاجل ونرى ما يمكننا عمله " .

ونظرت له مترددة وقالت :

- " حسنا ، نعم ، لدي عمل عاجل .. ولكن .. امتاكد انت ان هذا لن يسبب اي تعطيل للسيد "جريف" ؟ "

- " اوه ، كلا يا آنسة ، إنه مسافر ، وسنكون قد انتهينا من هنا قبل عودته بوقت كاف " .

وسالته بعصبية :

- " فهمت .. ولكن ، هل بين لكم انني انا الذي سادفع النفقات ؟ "

- " إنه لم يطرق هذا الموضوع ، ويمكنك ان تناقشي فيه رئيس العمل حينما يحضر ، فما انا إلا ملاحظ ، والآن ، هل اصعد لالقي نظرة . "

- " اه بالتاكيد " وقادته ولا تزال الحيرة تتملكها لهذا الشخص الذي قد تجشم عبء ترتيب هذا الامر لها قبل ان يسافر! يا لها من لمحة طيبة ، دفعتها إلى الرغبة في البكاء . "

لم يحدث من قبل ان وجدت صعوبة في التركيزعلى عملها . لقد كان لها بعض العذر على الاقل في منزل "آني" إن لم يكن نتيجة دخول وخروج الأطفال يسالونها شيئا ، فنتيجة لمقاطعة "آني" بين الحين والحين ، داخلة عليها بقدح من الشاي تريد الدردشة . وذلك على الرغم من انها لو كانت صادقة مع نفسها، لاعترفت انه حتي هذه الأمور لم تكن لتعوقها عن عملها .

ولكن ها هي قد عادت إلى منزلها ، ولا يزال التقدم بطيئا . وكان من

دواعي ارتياحها انه لم تكن هناك مشكلة في ان تدفع مصاريف الإصلاح ، وكانت عازمة على رفضه لو لم تكن ستدفع تكاليفه كما ان المبلغ كان معقولا ، ولم يستغرق العمل سوى عدة ايام .

كانت المسودة الأولى تستغرق في العادة ما بين ثلاثة إلى اربعة اشهر ، ولكن ها هي الاسابيع تتتابع ولا تقدم تحققه . وكانت تقضي الأيام سائرة بين المروج ، متدثرة في معطفها الوبري ، تتمتع بالطقس المتقلب والطبيعة القفرة .

واخذت تقرع نفسها على حماقتها . إن "جوردان جريفين" محاط بالنساء اينما حل ، ولن تزده واحدة اخرى إلا مللا ، إنها لم تكن بالنسبة له سوى لعبة يقطع بها الوقت . وسرعان ما سيقذف بها إلى النسيان بمجرد ان يحصل عليها . هاهو قد نسيها كلية منذ ان رحل ، ولو كانت قد خطرت لها خاطرة مجنونة انه سيكتب لها او حتى يطلبها ، فها هي خيبة الأمل تزداد رسوخا مع تحول الاسابيع إلى اشهر .

وتحسن الطقس بحلول شهر يونيو ، وانتهت هي إلى راي إذا كان لها ان تجد الإلهام الذي تنشده ، فعليها ان تغادر "ارنبي بردج" لفترة من الوقت .

وكان امرا سخيفا ان تقضي فترة الصيف المبهج في شوارع لندن القاتمة ، ولكن لندن كانت المكان المطلوب لعمل ما تريد من ابحاث . ولذا فقد وجهت الدعوة لنفسها ان تحل ضيفة على زميلة دراستها "شيلي" ، واخذت ايام الصيف تنقضي وهي بين اروقة المتحف البريطاني .

كانت القاعة الرحبة للمكتبة باردة ومعتمة وكانت الأصوات الخافتة لوقع الأقدام تمتصها صفوف الكتب المتراصة على الأرفف إلي مشارف القبة الزجاجية للسقف ، حيث كانت الشمس تسطع من هذا الارتفاع ، ولكن الصمت المخيم كان يجعلها في جو اقرب إلى الأحلام ، فاستعصى عليها ان تحتفظ بصفاء ذهنها ، وفي هذا الصباح ، حيث كان صداع خفيف يلح عليها ، لم تكتب شيئا بقدر ما عبثت بقلمها .

وفجاة احست بالاقتحام ، خطوات عنيفة ، وحركة حادة ، والتفتت

الرؤوس ، وحملقت الاعين في استهجان . ورفعت بصرها - وشعرت بالدم يغور من وجهها. كانت تحركات ومنظر "جريف" حول ارفف القاعة وهو يتطلع في محتوياتها ، تتناقض مع الجو الاكاديمي الراقي للمكان .

كان يرتدي بنطلونا من الچينز سيئ المنظر عليه تي - شيرت دون اكمام ابيض واسود مزين باسم فريق كرة لوس انجيلوس ، وبشرته ملوحة بالشمس بقوة ، تزيد من منظر عضلات ذراعيه المفتولة مما جعل "روز" تشعر بجفاف حلقها . كان يمسح بنظره الصفوف واجنحة القاعة ، مستغلا طوله الفارع .

ما الذي يفعله هنا بحق الجحيم ؟ وكيف دخل إلى المكان مجتازا الأمن ؟ إنه لا يملك بطاقة قارئ بكل تاكيد ، فمن هذا الذي سيزكيه لشيء كهذا ؟ كما انه من غير المسموح للجمهور بارتياد المكان .

وحاولت برد فعل غريزي ان تنكمش وراء كومة الكتب التي امامها . ولكنه كان قد لمحها ، واخذ يقترب منها بخطوات تؤكد ان لقاءها في هذا المكان لم يكن مصادفة . كانت قد نسيت طريقة مشيته ، خطوات كسولة واثقة كسبع يتجول في منطقة نفوذه .

ووقف متشامخا على حافة المنضدة ، على وجهه ابتسامته الشهيرة، وبصوت يحمل نغمته الساخرة المالوفة ، حياها قائلا :

- " مرحبا ايتها الغريبة "

الفصل السادس

اجابته في ثبات :

- اهلا . " ومدت يدها إلى اكثر الكتب ضخامة امامها ، واخذت تتطلع في فهرسه ، وسالته :

- " ماذا تفعل هنا ؟ " فرد دون تردد :

- " ابحث عنك ، لقد قالت "اني" إني ساجدك مدفونة هنا . ما رايك في الغداء". بهذه البساطة ؟ وكانها بطرقعة من إصبعه ستلغي جانبا كل شيء وتستجيب لما يريد ؟ لا، لن تسمح له ان يدخل حياتها مرة اخرى فيقلبها راسا على عقب. ردت عليه برزانة حسدت نفسها عليها:

- " اسفة ، إنني جد مشغولة ".

ورد عليها بمنطق :

- " إنك يجب ان تتناولي طعاما وقتا ما. "

قالت :

- " لدي بعض الشطائر " .

فضحك برقة وهو يهز راسه :

www.elromancia.com

– " أمازلت موضع احتقار لتصرفي آخرمرة ؟ إني أمل أن أجد فرصة أصلح فيها من موقفي . "

كان عليها أن تعترف بأن "جوردان جريف" حينما يتحول للجانبية، ما من قلب يمكنه مقاومته ، فلم تتمالك نفسها من الابتسام واستسلمت قائلة :

– " حسنا ، حيثما انتهي من عملي . "

– " وكم سيستغرق ذلك ؟ "

– " حوالي نصف الساعة "

– " جميل . "

ولم يتحرك . وبعد دقائق . قالت له مضطرة :

– " انظر ، لا يمكنني أن أركز وانت تراقبني ، إذا اردت مني أن آتي معك ، فعليك أن تنتظرني في الخارج " . فقال مبتسما ، وهو يعتدل وبريق مشاكس يشع من عينيه :

– " حسنا ، ولكن لا تتاخري " .

أصبح واضحا أنه لم يعد من سبيل لتركز في عملها مرة أخرى . وجلست برهة تحملق في بلاهة في الكتب التي أمامها ، وعقلها يموج بالمشاعر . بعضها دوار بالسعادة لعودته ، وقدومه للبحث عنها ، والبعض الآخر رغبة في أن تبحث عن باب خلفي تفر منه ولا تريه وجهها بعد ذلك .

وأغلقت كتبها وهي تلعنه في سرها . لماذا جاء يبحث عنها . إنها لم تكد تنتهي من التغلب على مشاعر المواقف الأخيرة ، بإقناع نفسها بان الإعجاب كان من جانبها ، وان ما فعله معها كان من قبيل العطف فقط ، ولكن ، ما الموقف الآن ؟

خطت خطوات متلاحقة عبر الصالات الرخامية الراقية للمتحف ، ومنها إلى الشمس الساطعة في الخارج . كان جالسا على درجات السلم مستندا إلى احد الأعمدة . ووقف لقدومها موجها إليها ابتسامته الدافئة التي يتراقص لها قلبها.

وقال في ارتياح :

– " لم يستغرق الأمر طويلا." فزامت قائلة :

– " ما إن يقاطعني احد حتى أجد الأمر صعبا أن اعود للتركيز " ولم تكن قد واتتها الثقة بعد لأن تكون على سجيتها معه . وضحك تلك الضحكة الخافتة المنغمة التي تحبها ، وابتسم بمرح :

– " أسف ، هل لديك فكرة أين نتوجه للغداء "؟

قالت :

– " هناك مقصف قريب يقدم جعة جيدة وطعاما ريفيا بسيطا " فنظر إليها دهشا ، وقال :

– " أهذا كل ما تريدين ؟ حسنا ، كوني دليلي إليه ، فانا لا أعرف هذا المكان من المدينة ، وأنا تحت تصرفك تماما " .

وكان اليوم مشمسا لطيفا ، يحلو فيه القيام بجولة في المروج لا التجول في شوارع مدينة ، وأخذا يتلافيان المرور بالمنطقة المزدحمة وهما ذاهبان للمقصف الذي قصدته "روز" . كان مختفيا وراء سلال معلقة مليئة بالأزهار ، ونوافذ العرض . وكانت بضع موائد قد صفت على الرصيف أمامه ، ونظرا لوصولهما مبكرين ، فقد استطاعا الحصول على واحدة منها وقال لها "جريف" موافقا :

– " مكان لطيف فعلاً." وسحب لها كرسيا وهو يسالها :

– " ماذا ستطلبين ؟ "

قالت :

– " نصف وجبة ، ولكن ، أليس من الأفضل أن نأخذ مائدة بالداخل؟، فقد يتعرف عليك القوم هنا . " فقال مبتسما :

– " لم يعد الكثير يتعرفون علي الآن ، وبخاصة في هذا الجانب من الأطلنطي".

– " كذا ؟ " إذن فلم أكن الوحيدة في ذلك ." قال بمرح :

– " نعم ، وبدرجة كبيرة ." ودخل ليحضر الطلبات ورجعت بظهرها في مقعدها مغلقة عينيها ورافعة وجهها للشمس الدافئة . من الواضح أنه مهما كانت طبيعة الأمر الذي استبقاه هذه المدة الطويلة في أمريكا، فقد انتهى على خير ما يحبه هو . لقد عاد أكثر استرخاء ، وخفف بقدر كبير حدة السخرية اللاذعة التي كان يتميز بها .

وعاد حاملا الطلبات ، وقال لها :

- " اليس هذا افضل من الشطائر التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، في ذلك المتحف العتيق ؟ " فقالت مذعنة :

- " اعتقد ذلك ، ولكن كيف دخلت المكان ؟ هل رشوت الحرس ؟ "

فقال معترضا وهو يضحك :

- " بالتاكيد لا ، إنها مجرد محادثة منطقية ، اقتنع بعدها القوم بوجاهة ما طلبته منهم " . وسالته بجفاء :

- " وكم تطلب ذلك منك من الوقت ؟ "

قال :

- " ليس بالوقت الطويل " .

واغرقت "روز" في الضحك . إذن فجاذبية "جريف" التي لا تقاوم لها تاثير حتى على الحرس الجرانيتي للمتحف القومي !

وكانت جلسة ممتعة ، فالشراب منعش ، والمرور ممنوع من الشارع الضيق ، والمقصف يعج بالمترددين للحصول على وجبة خفيفة في فترة الراحة من العمل، ولم يفت " روز" ان تلاحظ ان اغلب الفتيات يعدن النظر إلى "جريف" ، ليس لأنهن يتعرفن عليه .. ولكنها صفة ما فيه تجذب إليه الانظار .

وسالت :

- " متى عدت من امريكا ؟ " قال :

- " في عطلة هذا الاسبوع . اتعلمين لقد كنت اشعر انني عائد لوطني " .

واخذت تتمعن فيه خلسة ، من تحت جفونها . كانت كل لمحة في وجهه محفورة في ذاكرتها ، ولكن ذاكرتها لا تتمثل فيها سوى الهالة المغناطيسية التي تحيط به ، شيء اشبه بقوة اولية من قوى الطبيعة، اقوى من الجاذبية الارضية ذاتها وكلفها الامر كل ما تملك من عزم حتى تحافظ على جو المحادثة الودي وهي تساله :

- " هل انتهوا من العمل في المنزل ؟ " قال :

- " نعم لقد حولت جزءا منه إلى استوديو ، وسيمكنني العمل فيه في القريب" .

وسالته باهتمام :

- " إذن فسوف تقوم بالتسجيل ؟ "

- " نعم ، ولهذا جئت إلى "لندن" ، للنظر في بعض العقود التي قد اجدها مشجعة . وماذا عنك الليلة ؟ "

- " لا شيء .. "

لقد اخذها على غرة . إذ كانت موطنة نفسها ان تعتذر له بانب بمشاغلها لو طلب منها الخروج معه ، ولكنها لم تكن مستعدة للسؤال في تلك اللحظة ، وها هي قد ورطت نفسها . "

- " حسنا ، سامر عليك في الثامنة ، العشاء اولا ، ثم المرور على هؤلاء الاولاد . "

- " في الواقع .. لست متاكدة ... "

- " ارجوك .. إنني محتاج لرايك .. كشخص من خارج التخصص ، يستمع باذني مستمع عادي . "

- " ولكني لا استمع كثيرا للإذاعة " .

- " وهذا افضل بكثير .. ارجوك ، يمكنك ان تهبيني ليلة واحدة ، اليس كذلك؟"

وبعرضه للامر على هذا الوجه ، كان الرفض منها امرا مجافيا للذوق ، وبخاصة بعد ان ساعدها في إصلاح منزلها ، فقالت مذعنة :

- " حسنا ، فلاعد لعملي الآن ، فلدي منه الكثير. " ونهض لنهوضها، وسالها:

- " وهو كذلك ، اين تقيمين ؟" . وسطرت في عجالة ، عنوان صديقتها على قصاصة ورق ، ناولتها له ، وقال :

" الثامنة ، بالضبط ، إياك والتاخير. "

قالت :

- " لا ، لن اتاخر ، إلى اللقاء " .

سالتها "شيلي" بفضول :

- " من هذا الذي ستخرجين معه ، لم اعرف انك قابلت رجالا في "لندن" ، فاين قابلته ؟ "

وهزت لها "روز" كتفيها تعبيرا عن اللامبالاة :

- " شاب يعيش في "ارنبي" ، وموجود في "لندن" للعمل ، صادقته

www.elromancia.com

في المتحف ."

- " وما اسمه ؟ "

- " "جريف" . "

واتسعت حدقتا " شيلي" ، وغاص قلب "روز" وشهقت الأولى :

- " إياك أن تقولي "جوردان جريفين "؟ واو ! هل سياتي لأخذك ؟ "

فهزت رأسها على مضض والقت " شيلي" بنفسها على السرير متظاهرة بالدوار :

- " اوه ، واو ، فلاسرع ، إنه على وصول ، ويجب أن ابدو فاتنة امامه " .

وتبسمت "روز" في تخابث وصديقتها تهب من السرير وتسرع إلى غرفتها ، وسالتها :

- " ما الذي سيظنه "جراهام" بك ؟" قالت :

- " اوه ، تبا لـ "جراهام" الآن ! إنه ليس كل يوم اقابل رجلا من رجال احلامي".

ونظرت "روز" إلى صورتها في المراة ، تبتسم لها في اسى ، رجل من رجال احلامها ... ياللصدق ! آه لو ظل هناك كم هو خطر ذلك الرجل من لحم ودم الذي ستتناول معه العشاء. وسرت في بدنها دفقة من الحرارة وهي تتذكر ما حدث بينهما اخر مرة .

وبذلت جهدها كي تبدو في صورة طيبة . لم تكن قد احضرت معها ما يليق بمناسبة كهذه . فنبذت كتبها تلك الليلة .. وكيف كانت ستعمل على اية حال في تلك الليلة ؟! .. وذهبت تشتري ما يلزمها من شارع "اكسفورد" .

كانت تنوي شراء رداء واحد ، ولكنها عثرت على محل رائع ، وبصورة ما ... حسنا .. شيء يؤدي لآخر ، وكان عليها ان تستقل سيارة أجرة في عودتها . وكانت نصف الأشياء لا يزال ملقى على السرير .. بلوزات حريرية ، جونلة مخملية طويلة ، وكومة من الملابس الداخلية .

وكانت ترتدي رداء اسود اللون من قطعتين ، غاية في الروعة ، تجري بين خطوطه بعض الخيوط المذهبة اللامعة . واعارتها "شيلي"

سلسلة رقيقة احاطت بها جيدها، ولكن اه لشعرها ! ماذا هي فاعلة به؟ واخذت تعمل فيه المشط نافدة الصبر ، وتوقف قلبها لرنة الجرس ، وسمعت "شيلي" تصيح وهي تهرع للطابق السفلي .

- " إنه هو ." وسمعت الباب الخارجي يفتح ويغلق ، واصوات مختلطة ، منفعلة من " شيلي " ، ورقيقة اخاذة من "جريف" . وإذا لم تسرع ، ذكرت نفسها في نصف مداعبة ، فلعل الأمر ينتهي بصديقتها وقد سرقته منها تحت سمعها وبصرها .

كان يبدو عليه البرود والاسترخاء ، في بنطلون ابيض وقميص رمادي ، وربطة عنق رفيعة حمراء زاهية ، غير محكمة على عنقه ، وقد شمر الأساور عن رسغيه القويين، وابتسم لـ "روز" فقفز قلبها بين جوانحها .

وصاح مجاملا دون تكلف :

- " اهلا ، إنك تبدين رائعة المظهر " .

- " شكرا . لقد كنت مترددة فيما ارتديه .. اهذا مناسب ؟ "

- " بالتاكيد ، هيا ، فالتاكسي بالخارج ." والقى بإحدى ابتساماته المدمرة لـ"شيلي" ، تاركا قلبها يطفر من الابتهاج ، واصطحب "روز" للخارج .

واتجها شمالا كما توقعت . وسالته :

- " إلى اين ؟ " قال :

- " إلى مكان يسمى "برانيجان" ، هل سمعت به من قبل ؟ "

وهزت راسها وقد اتسعت عيناها . إن المكان مشهور بانه ملتقى المشاهير من القوم وتقلصت معدتها من الإثارة . وعلمت أن هذه الليلة ستكون من الليالي التي لا تنسى في حياتها ، وكان المطعم في شارع جانبي متفرع من الشارع الرئيسي ، وله واجهة متواضعة ، لا تزيد على نافذة ذات ستائر معدني يحجبها ، ودفع "جريف" الباب ، وعاق تقدمهما رجل ضئيل الحجم وقف بإصرار يخبرهما أن لا مكان لهما .

وتجولت ببصرها في المكان غرفة طويلة تصطف الموائد بها بصورة تجعل التجول بينها امرا عسيرا . والديكور حديث ورقيق ، بالوان الآيس كريم والمنحنيات الرشيقة . ورغم إصرار الرجل ، فقد كانت

www.elromancia.com

نصف الأماكن شاغرة . ويبدو انه يجب أن يكون المرء مشهورا ليرتاد هذا المكان .

وأذعن من كانا أمامهما فعادا ادراجهما ، تاركين الرجل ليتفرغ لـ"جريف" ، ولكنه ما إن رآه حتى مد يديه صائحا :

- " "جريف" ! إنك تبدو رائعا ! متى عدت لـ إنجلترا ؟ "

- " منذ عدة أيام ، أريدك أن تتعرفي على صديقي ، "سيمون" ، ... "روزالين هاموند" " .

وشعرت بالرجل يقلب الاسم في عقله ليتعرف عليه ، ودهشت انه نجح في ذلك، فابتسم لها بترحاب وقال :

- " آه .بالتأكيد .. أسف ربما لا أكون قارئا جيدا يا آنسة "هاموند" ، هل لي أن أناديك بـ "روزالين" ؟ إن والدتي من المغرمين بك ، واعتقد انها قد قرأت جميع كتبك . "

وغمغمت :

- " إنها أربعة فقط " ولكنه لم يسمعها ، فقد أولى "جريف" انتباهه .

- " أين تجلس الليلة يا "جوردان" ؟ هل اختار لك ركنا هادئا ؟

- " شكرا يا "سيمون" اي مكان " .

واختار لهما أكثر الأماكن تميزا ، بينما ظهر عليه السرور لاختيار "جوردان" لمطعمه . وتعرفت على اغلب الملامح ، من شاشة التليفزيون ، وغدت كما لو كانت قد ارتدّت إلى فترة المراهقة . كانت تبتسم في ارتباك وهو يقدمها لهم ، ولكنها كانت تقرأ في نظراتهم التساؤل ماذا يفعل معها هنا . فكل النساء الموجودات كن إما رائعات الجمال ، او ذائعات الصيت .

وخبأت وجهها وراء قائمة الطعام لدقائق تستجمع فيها رباطة جاشها ، ورغم أن "جريف" يبدو مالوفا في المكان ، فقد لمست الفرق في تعامله مع رواده . لقد كان القوم ينادونه "جوردان" ، واستعادت في ذاكرتها كلمته لها :

- " إن أصدقائي يدعونني "جريف" ولم يكن في الطعام ما يدعو للشكوى ، وبدا واضحا أن شهرة "سيمون برانيجان" ليست في رواده فقط . وظلا لفترة طويلة يستمتعان بتناول الطعام على مهل ، وحينما

حان وقت انصرافهما ، كانا قد جمعا حولهما قدرا لا باس به من الفضوليين .

وكان النادي الذي سيتجهان إليه في الجانب الغربي من المدينة . وحينما نزلا من سيارة الأجرة ، وضع "جريف" يده على كتفي "روز" وهما يتجهان إلى المكان .

وتعرف الرجل متين البنيان في مدخل المبنى على "جريف" على الفور، وغمره بالترحاب ، وهو يدعوه للدخول .

وواجهت وجه "روز" لفحة من الحرارة المشبعة بالرطوبة ، جعلتها تعتقد انه لن يكون بإمكانها التنفس ، كان على منصته خمسة من الموسيقيين الشبان ، يعزفون بالاتهم مصدرين أصواتا جعلت كل عضلة في بدنها تهتز وجعلتها الأضواء المبهرة السريعة التغيير تشعر بالدوار ، وضمت جسدها إلى "جريف" وهما يتجهان إلى مكان منعزل وراء المنطقة .

رمى "جريف" "روز" بنظرة اعتذار :

- " أسف ، ليس المكان من الأماكن المحببة لك. "

فقالت :

- " لا ، إنه عالي الضوضاء بالنسبة لي . "

- " لا عليك ، لن نبقى طويلا ، لن يستغرق الأمر معي اكثر من ثلث الساعة " .

ولكن مع مرور الوقت ، بدا انه قد نسي وعده ، إذ شغلته فراشة جميلة فرضت نفسها على صحبتهم وبدا مشغولا بالصداع أكثر من اهتمامه بالاستماع للأولاد الموجودين على المنصة . وشعرت "روز" بتاثير الموسيقى الصاخبة والأضواء المبهرة ، وبدأت عيناها يلسعهما الدخان الذي يملأ الجو .

واستأننت لتذهب إلى دورة المياه طلبا لبعض الهواء النقي ، وارتكنت على وحدة تزيين مرمرية واخذت نفسا عميقا وأغمضت عينيها ، والإحباط يملأ قلبها . فهو رغم انه طلب منها الخروج معه ، فقد كان سلوكه لا يزيد على الصداقة المحضة . لقد كانت على حق منذ البداية - إنه غير منجذب إليها ، إنه كان محتاجا إلى صحبة أي

شخص في تلك الليلة - ربما كحماية من النساء اللواتي لا يفتأن يطاردنه .

وسمعت الباب يفتح ورأت شخصا ما يدخل ، ولكنها لم تلق بالا حتى سمعت صوتا يسألها :

- " هل معك مشط تعيرينني إياه ؟ "

وفتحت عينيها . وقالت :

- " اوه .. نعم ، بالتاكيد . دقيقة . " وبحثت في حقيبة يدها حتى وجدت مشطا ناولته للفتاة بابتسامة :

- " شكرا ، اف يالحر هناك . لقد اضطررت للهروب للحظات منه . "

وردت "روز" :

- " وانا ايضاً" ولم تستطع ان تمنع نفسها من الغيرة وهي ترى حركة المشط في شعر الفتاة . بعض الفتيات يبدو عليهن انهن يحزن كل الحظ . فالفتاة تجمع بين حلاوة التقاطيع وجمال البشرة ، والشعر الذي يزيدها فتنة .

وكان من الصعب تحديد عمرها . في البداية ، قدرت لها ثمانية عشر ولكن نبرات صوتها الخفيض المشوبة بشيء من البحة ، جعلتها تقدر لها خمسة اعوام اكثر ، ولكن جمالها كان حريا بان يدفع كل صديقات "جريف" للظل ، فهي احلى من اي منهن . ولاحظت ان "روز" تراقبها ، فردت عليها بابتسامة ود، وتنهدت قائلة :

- " يا لشعرك الجميل ، إن لونه لرائع ، إني افكر ان اعطي شعري لونا احمر ايضا ، افضل من الاصفر ، ما رايك ؟ هل يليق بي "

وردت "روز" دهشة :

- " ولكن شعرك رائع الجمال ، لقد كنت اتامله بإعجاب . " وبدت الفتاة مسرورة، كما لو كانت لا تثق بنفسها رغم صورتها في المراة ، وقالت:

- " احقا ؟حسنا ، فلاتركه هكذا لبعض الوقت " ثم سالتها وهي تناولها المشط :

- " هل جئت هنا من قبل ؟ "

وردت "روز" في اسى :

- " كلا ، ولا اعتقد انه سيسعدني أن احضر مرة اخرى . "

وضحكت الفتاة في صوت موسيقي خافت :

- " افهم قصدك . مع من حضرت إذن ؟"

- " مع صديق . " ثم انتابتها نوبة من الزهو " مع "چوردان جريفين " لقد جاء يستمع للفرقة ، وربما يوقع معهم عقدا "

وإذا كانت "روز" قد توقعت انفعالا من الفتاة ، فقد خاب ظنها ، إذ ردت الفتاة عليها بلا مبالاة :

- " آه " جريف " إنني لم اره هنا . ولكن المكان مظلم نوعاً . " ثم بدت كما لو كانت قد تذكرت شيئا ، فاخذت تبحث في حقيبتها وهي تقول في حياء :

- " هل يمكنني ان اطلب منك معروفا . اعتقد انه نسي كل شيء عن الموضوع . فاخر مرة تقابلنا وعد ان يستمع لهذا الشريط مني. "

وناولتها شريط كاسيت :

- " هل يمكن أن تعطيه له نيابة عني. "

قالت "روز" باستعداد :

- " بالتاكيد ، ولكن لماذا لا تاتين معي وتعطينه إياه ؟ "

- " اوه ، كلا ، لا اريد ان افرض نفسي عليه . ففي الغالب قد نسي كل شيء عن الموضوع ، ولكني ساكون لك شاكرة . اسمي "ستيفاني ريفز " ، واطلق على نفسي "ستيفي " ، وقد سجلت رسالة قصيرة في نهاية الشريط ، ومنها سيعرف كيف يتصل بي ، انا مضطرة للانصراف ، واشكرك بحرارة ، إنك غاية في اللطف . " واختفت قبل ان تستطيع "روز" ان تقول شيئا اخر .

وقلبت الشريط في يدها عابسة . إنها لم تكن متاكدة ان "جريف" سيرضى بان يقدم له الشريط بهذه الصورة . ولكن الفتاة ظريفة ، كما انه وعد بان يستمع لها . ودسته في حقيبة يدها ، والقت نظرة على مظهرها ، ثم عادت له .

وسالها وهي تجلس بجواره :

- " اين كنت ؟"

- " كنت اتحدث مع فتاة ، تقول إنها تعرفك .. اسمها "ستيفاني " ."

- " لم أسمع باسمها من قبل .

ونظرت إليه في دهشة :

- " لقد كانت غاية في الجمال ، ذات شعر أصفر .. "

وقاطعها :

- " كلهن هكذا ، هل أنت مستعدة للانصراف ؟ " فردت بزفرة ارتياح:

- " نعم " .

كان الهواء في الخارج منعشا ، ويبدو أن السماء أمطرت لعدة ساعات فجعلته باردا برودة لذيذة . ووضع يده على كتفها مرة أخرى وسارا صامتين برهة ، والشوارع مهجورة ، وبقايا اليوم تتطاير على الأرصفة .

وتنهد بعمق وهو يقول :

- " إني أتعجل العودة إلى " يوركشاير " "

وابتسمت له قائلة :

- " ما رأيك في الفرقة ؟ هل ستتعاقد معها ؟" فابتسم ابتسامته الساخرة وقال :

- " كما توقعت ، إن لديهم من الشعر أكثر مما لديهم من الموهبة ، ولكنه لون الموسيقى المطلوب في السوق "

وسألته :

- " إذا لم تكن تحب هذا اللون من الموسيقى . فلماذا تنتجه ؟ "

وسألها برقة:

- " ما الذي يجعلك تعتقدين أني لا أحبه ؟ " فتساءلت وهي ترميه بنظرة شك:

- " أو ليست هذه هي الحقيقة ؟"

فضمها إليه وقال :

- " هذه هي " روزتي " ، الأنفاس العطرة المنعشة للمروج . لكم أنا سعيد أن أحضرتك معي ؛ إن ليلة كهذه تذكرني بسبب تركي بـ " لوس انجيلوس " .

وشعرت بلذعة مريرة في صوته ، فسألته قبل أن تعي ما تفعل :

- " ولماذا تركت " لوس انجيلوس " "

ومرت برهة تصورت معها أنه لن يرد ، وحينما تكلم ، بدا وكأنه يحدث نفسه : - " لقد عشت فيها طوال عمري ، ولكنها مدينة فارغة ليس بها سوى نخيل وضباب ودخان . كل من فيها يبغي الشهرة ، فإذا لم يستطع ، تعلق بمن هو مشهور عسى أن يصعد على كتفيه، وبعد مدة تشعرين أنك قد استنفدت كلية " . وشعرت بقلبها ينقبض في إشفاق ، شعور لم تتصور أنها ستشعر به تجاه هذا الرجل البارد الواثق من نفسه . وبرد فعل غريزي ، وجدت نفسها تحيط خصره بذراعيها وتضمه لها ، فمال إليها ، وطبع قبلة على شفتيها .

ثلاثة أشهر ... ثلاثة أشهر بطولها تنتظر هذه اللحظة ، وجاوبته على قبلته بقبلة حارة ، تجاوبت لها كل مشاعرها .

ولم تلاحظ أنه قد أشار إلى سيارة أجرة حتى توقفت بجوارهما . وحينما توقفت السيارة ، لاحظت أنه لم يأخذها لمسكن صديقتها . فسألته :

- " أين نحن ؟ " قال :

- " في حي " بلاكهيت " ، إن لي شقة هنا ، أفضل من المبيت في الفنادق "

وتجمدت " روز " ، بالتأكيد سيتوقع منها أن توافق على قضاء الليلة معه ، بعد أن بادلته القبلات ، وسارت معه قليلا دون جدال ، إلى أن انصرفت السيارة ، وبعدها قالت بسرعة :

- " " جريف " ، إني آسفة . كان من المفترض أن أقول لك ذلك .. ولكن .. يجب أن أعود .. " وخفت صوتها رويدا رويدا .

وتنهدت ، ورفع بصره للسماء كأنما يستلهم الصبر من النجوم ، ثم قال في صوت حاد :

- " إنها غلطتي ، لقد أسأت فهم الموقف . سأستدعي سيارة أجرة أخرى ، حسنا ؟ هل تسمحين لي أن أدعوك لفنجان قهوة في هذه الأثناء " وأضاف رافعا يديه دليلا على البراءة :

- " لقد سبق أن أخبرتك بأنني لا أجبر فتاة على الإطلاق ، وأعدك أن أتصرف بطريقة مهذبة "

وابتسمت في خجل قائلة :

- " لا اعتقد انك مضطر للوعد " . وسمحت له ان يقودها إلى الداخل.

وكانت الشقة هي افخر ما وقعت عليها عيناها . شيئا من قبيل ما تراه في المحلات . مساحة مكشوفة على مستويين ، وسجادة بيضاء سميكة ، واثاث مطعم بالجلد الابيض . وما ان ضغط "جريف" علي مفتاح النور حتى غمرت الشقة الاضواء ، مصاحبة بموسيقى هادئة ، من نظام ستريو ، مع حفيف الستائر على النوافذ .

وصاحت :

-" واو "

وضحك "جريف" وقال :

- " تفضلي بالجلوس ؛ ساطلب سيارة اجرة ، واضع وعاء القهوة على النار، حسنا ؟ "

قالت :

- " شكرا لك ." وكانت تحاذر ان تلمس الاثاث الفاخر إلا بالنذر اليسير. فضحك "جريف" وقال مزيلا قلقها :

- " خذي راحتك ، إنه مصنوع للاستعمال " . وانحنى على مسند اريكة ، في اقتراب يبعد عنها الشعور بالراحة ، وسالها :

- " كريمة بدون سكر ، اليس كذلك ؟ "

وتحركت قليلا لتبتعد عنه وقالت :

- " بلى ، شكرا لك ." وابتلعت ريقها ، ربما كان خطا منها ان تقبل دخول المكان ، وتنحنحت وقالت في عصبية : " هلا طلبت السيارة من فضلك ؟ " والتوت شفتاه في ابتسامة اسى :

-" حسنا ، إنني محافظ على وعدي ، وليس من داع ان تشعري بهذا الخوف مني ."

وخفضت عينيها ، شاعرة بهذا التردد الغبي الذي ينتابها مرة اخرى ، وقالت في همس مجهد :

- " اعلم ." ولكنها كانت على حق تماما ان تشعر بالخوف - ليس منه ، بل منها . لقد كان غباء محضا ان تدخل هذه الشقة ، لقد سقطت في مصيدة الشيطان .

الفصل السابع

كان المطبخ في ركن ملحق بالصالة ، وسمعته يتحدث في التليفون ، يطلب التاكسي ، ثم يدندن لنفسه وهو يصنع القهوة . وحينما عاد حاملا صينية القهوة ، كانت قد تمالكت قدرا من نفسها .

ووضع الصينية على المائدة ، وجلس مسترخيا على اريكة امامها . وقال :

- " ستحضر سيارة الأجرة حالا ، والآن اخبريني ، ماذا كنت تفعلين في غيابي ؟ كيف حال الكتاب ؟ "

- " ليس سيئا ، لقد واجهتني بعض الصعاب في البداية ، ولكني قمت بعدة أسابيع طيبة من البحث ، واعتقد انه سيسير بصورة طيبة بعد ذلك " .

وسالها وهو يخلط كلماته ، بابتسامته العذبة :

- " ما موضوعه ، أم ترى اني يجب ان انتظر حتى يصدر ؟ "

- " اوه ، إنه عن الحرب الإنجليزية الإسبانية في بداية عصر النهضة عن احد الجزويت الذي افزعته ما ترتكبه محاكم التفتيش من

www.elromancia.com

مظالم بشعة ، فتحول إلى البروتستانتية ، واقتنع بان يعمل جاسوساً لحساب الإنجليز . لقد كنت منفعلة بفكرة الدوافع التي تدفع بإنسان إلى ان يتحول إلى جاسوس ضد بلاده."

-"ولماذا تدور كل قصصك حول فترة القرن السادس عشر ؟ "

وابتسمت :

- " حينما كنت صغيرة ، كنت اعتقد اننا في ذلك القرن بالفعل ، فقد كانت قصص والدي تجسد لي شخصياته وحوادثه . ثم إنك حينما تكتب عن الماضي تستخدم اشخاصه وحوادثه بلا حرج ويكون الأمر اكثر إثارة وتشويقا ".

- " لقد ملأني الشوق لقراءته ، متى سينشر ؟ "

- " سيتطلب الأمر عدة أشهر اخرى ، ثم قد يطلب الناشر عدة تغييرات فيه ، كعادته دائما ، وبعد ذلك .. اوه ، عدة أشهر اخرى حتى يرى النور " .

وهز رأسه :

- " ومتى ستعودين إلى "يوركشاير " ؟ "

- " لست ادري ، ربما عدة ايام اخر. " ورغم وجود المائدة بينهما ، كانت عصبية وتطلب الأمر جهدا منها لتستمر في المحادثة " وماذا عنك انت ؟"

- " اوه ، في اي وقت خلال هذا الأسبوع " .

- " وهل ستبقى مدة طويلة هذه المرة ؟ "

- " سابقى لفترة لا باس بها. " ثم طوح رأسه للوراء مغلقا عينيه :

- " إنني سعيد لعودتي من وكر الأفاعي ذاك . " واستطرد في صوت بدا مجهدا :

- " إنه نوع من العمل مقزز احيانا ، فشريكي على استعداد مثلا ان يبيع امه في سوق الرقيق الأبيض من اجل حفنة من الدولارات " .

- " ولكنك قد تجد امثال هؤلاء هنا ايضا " .

- " نعم ، اعتقد ذلك ، ولكن على مستوى اضيق بكثير ، فالناس هنا اكثر معرفة ببعضهم ."

- " ولماذا إذن لا تضع عنك الأمر كله ، وتمارس نشاطا تفضله اكثر ؟"

- " مثل ماذا ؟ "

ودهشت ان لمحت نظرة شك في عينيه ، وتعجبت ماذا تراها قد الت، فردت بسرعة في اضطراب :

- " لست أدري ، لماذا لا تركز على موسيقاك انت ؟ الن تكون اكثر سعادة بذلك ؟ "

وتجهم وجهه وهو يرد عليها :

- " من المحتمل . والآن ، ماذا تريدين مني يا "روزالين هاموند "؟"

ورمشت عيناها في دهشة :

- " لماذا تتصور اني اريد منك شيئا ؟ " فالتوى فمه في ابتسامة سخرية مريرة وقال :

- " كل الناس يريدون مني شيئا ما " .

فصاحت معترضة وقد ملأها الرعب :

- " لا يمكن ان تظن بي شيئا كهذا. "

فرد في استهزاء :

- " لا تحاولي ان تمثلي السذاجة ، إنني لم اسبر غورك بعد ، ولكني سافعل."

فردت عليه وقد امتلأت غضبا لاستهزائه :

- " لست أريد منك اي شيء ، ماذا يمكنني ان اريده ؟"

- " انا اشك في ان ما تريد ينه امر ذو شان كبير " .

وتحول وجهها إلى اللون القرمزي ، من وجهة نظر معينة ، إنه على حق ، إنها تريد منه الشيء الوحيد الذي يضن على الناس به .. حبه، لقد حاولت طوال الشهور الماضية ان تقنع نفسها بان مشاعرها نحوه ليست سوى تعلق صبياني بنجم موسيقي تستطيع التعرف عليه عن قرب . ولكن لم يعد هناك مجال لإنكار الحقيقة اكثر من ذلك . إن من تريد حبه هو "جريف" ، وليس "چوردان جريفين" ولكن حتى "جريف" يبدو اعز منالا . وها هو ذا يتصور انها تريد الإيقاع به في شيء ما بتمنعها عنه .

وتوقف صوت جهاز الإستريو ونهض "جريف" وقال :

- " ساغير الشريط ، ماذا ترغبين سماعه ؟"

وتذكرت "روز" فجاة الشريط الذي معها . فاخرجته من حقيبتها وقالت :

- "هل يمكن ان نسمع هذا ؟"

وسالها وهو يقلبه في يده عابسا :

- " ما هذا ؟ "

- " تلك الفتاة التي حدثتك عنها في النادي ، اتذكر ؟ لقد طلبت مني ان اعطيه لك " .

واصابتها الحيرة لثورة غضبه :

- " اوقد فعلت ؟ وبالتاكيد تطوعت لخدمتها . الن انتهي ابدا من هذا ؟! " . وطوح الشريط بعيدا :

- " كل نكرة عار من الموهبة يحوم حولي لاجعله نجما ، ويستغل معارفي للتدخل في حياتي " .

وردت معترضة :

- " لقد قالت .. " وشعرت وكان عليها ان تدافع عن الفتاة ، ربما لانها الوجه الوحيد الودود الذي صادفته في هذا الخضم من المغرورين . "

وقاطعها محتدا :

- " ساقول لك ما قالته : إننا تقابلنا من قبل ، اليس كذلك ؟ وقد وعدتها ان استمع إليها ، وإنها لا تريد إزعاجي مرة اخرى " فهل تقومين لي بهذه الخدمة؟ " اليس كذلك ؟ "

- " إنك مخطئ ، لقد كانت فتاة لطيفة " وكان صوتها متخاذلا ، فقد ساورها الشعور بالذنب لصدق تخميناته . ورد بمرارة :

- " انا متاكد انها كانت كذلك وبهذا خدعتك واقنعتك بان تؤدي لها تلك الخدمة " .

- " إنك لن تخسر شيئا بالاستماع لها " .

- " حسنا " واتجه إلى حيث سقط الشريط " ساستمع إليها ولكن ، ماذا ستعطيني في المقابل ؟ " وامسك بالشريط ووضعه في الجهاز ، وفي لحظات ملأ الغرفة صوت حاد اخذ يتحشرج عبر الجهاز الصوتي الثمين . "

وتقدم منها ببطء وشكله يوحي بالوعيد :

- " حسنا ، ها انا استمع كانها قطة حشر نيلها في معصرة . بل لعلها ستفسد سماعات جهازي " وانكمشت في الاريكة وهو يمسك نراعيها بقسوة ، وينهضها علي قدميها "

- " والآن يجب رد المعروف . "

وامسك شعرها وامال راسها للوراء ، وخنقت شهقتها مع قبلته الحارة . وتملكها الذعر وهو يحملها بين ذراعيه فراحت تقاوم دون جدوى وهو يصعد بها إلى الطابق العلوي ، وصرخت تستعطفه :

- " جريف" ارجوك ، انزلني " .

وتجاهل استعطافها حتى وصل بها إلي غرفة النوم ، وقالت له من بين دموعها :

- " لقد وعدتني .. وقلت إنك لا تجبر امراة على ذلك " فرد مزمجرا بوحشية:

- " وقد قررت التخلي عن تلك العادة " .

وانزلها على السرير ، وجلس بجوارها ، وهدته من بين دموعها :

- " ساصرخ طالبة النجدة " قال :

- " اصرخي كما تشائين . " وسالته وقد استبد بها الرعب :

- " اتعني ان المكان معزول صوتيا " .

قال :

- " بالضبط كما تقولين " .

ودفنت راسها في الوسادة وهي تجهش بالبكاء ، وتردد من بين تشنجاتها :

- " لم اكن اريدك بهذه الطريقة ... "

ولدهشتها ، وجدته يقف على قدميه ، فرفعت إليه وجهها فراته يضع كفيه على وجهه ويغمغم " رباه ، ماذا دهاني ؟ " ثم نظر إليها بندم وقال :

- " اسف يا "روز" ، لابد اني قد جننت " .

واعتدلت بحذر ، وحملقت فيه ، فمد يده ولمس خدها وقال :

- " هل اذيتك ؟ "

قالت :

- " كلا ، ولكنك افزعتني ." فهمس في صمت مرتعش :

- " إني ... جد آسف ."

ورن الجرس ، فهبت قائلة :

- " سيارة الأجرة ." واخذت تسوي ملابسها ، وتنهد وهو يضع كفيه على خديها، ويطبع قبلة على شفتيها ، وقال :

- " إلى اللقاء يا "روزالين" الجميلة ، اسرعي قبل ان ينصرف السائق ." .

وبعد مغامرة الليلة الماضية ، قررت "روز" في الصباح انه إذا كان "جريف" ذاهبا إلى" ارنبي بريدج" ، فستذهب هي في الاتجاه المضاد . ووجدت تعليلا انها يجب ان تجري بعض الأبحاث في إسبانيا ، مسرح احداث قصتها .

وكان موسم السياحة في اوجه ، ولكنها استطاعت ان تنجو من براثن منظمي الخدمات السياحية ، واخذت تتجول في "مدريد "وغيرها من المدن التي شهدت احداث قصتها منذ اربعة قرون

وظلت هناك إلى نهاية اغسطس ، حين استلمت خطابا من صديقتها "اني" تخبرها بوصول الوليد الجديد ، "دافيد انتوني اوسبورن" ، يزيد قليلا عن سبعة ارطال وزنا . لقد آن الأوان كي تعود لوطنها ، فلم يكن لـ "جريف" ان يبعدها عن اصدقائها اكثر من ذلك . ورفضت شاكرة دعوة "شيلي" ان تقضي الليلة لديها ، فقد كانت جد مشوقة للعودة لموطنها ، وإن كان الأسف قد ساورها وهي محشورة في المرور المزدحم على الطريق السريع المتفرع من "لندن" .

ومدت يدها إلى المذياع فادارته، وحولته إلى محطة موسيقى حديثة. وجاءها صوت المذيع يعلن حوارا حول آخر اخبار الأسبوع الفنية ، وجاءها صوت يقرر :

- " هذا حق . إن الأغنية التي هزت الأوساط الغنائية هذا الأسبوع هي اغنية "هواجس" للمطربة الجديدة : " ستيفي ريفز " .

وجفلت "روز" لسماع الاسم ، فاهتزت عجلة القيادة في يديها ، مما جعل قائد السيارة في الحارة المجاورة يصم اذنيها ببوق سيارته .

وصدحت الموسيقى ، وجاء صوت المغنية ، صوت انثوي شهي

الجرس ، تعرفت عليه "روز" على الفور ، نفس الصوت الذي سمعته من قبل . كانت اغنية جيدة بلا مراء ، وهذا ما اقره المشتركون في الحوار، ذاكرين انها اول اغنية تسجلها هذه المطربة الجديدة ، سجلها لها وكيل اعمالها : " چوردان جريفين " . إذن فقد تعاقد معها اخيرا . وعضت شفتها . لقد كانت تقاوم طوال الشهرين الماضيين ان تتذكر ليلتها الأخيرة في "لندن" . ولكن الذكرى جاءتها الآن كنهر متدفق . ولم تستطع كبح جماح دموعها. ها هو ذا قد قابل "ستيفي ريفز" ، وغير رأيه فيها وتعاقد معها . أمر لا يثير العجب ، بل لن يثير عجبها أن تعلم انه على علاقة بها . ومن سخريات القدر ان تكون هي من جمعتهما معا . ولكنها تعلم دائما انها لن تحتفظ به لنفسها . ولو لم تكن "ستيفي" ، فستكون غيرها .

وكانت الشمس تميل للمغيب وراء الطريق المزدحم ، وغرقت السماء في زرقة ناحية الشرق ، ولكنها ناحية الغرب كانت تسبح في الوان ذهبية تغمر المروج . وكان السلام والهدوء يلفان هذه المناطق ذات الطبيعة الرائعة .

وكانت مستغرقة في التمتع بهدوء المكان ، حينما شق الهدوء صوت مزعج لطائرة هليكوبتر ، تحوم في السماء كبعوضة عملاقة ، واختفت وراء التلال امامها . إنه "چوردان جريفين" في تنقلاته . وابتسمت لنفسها في أسى . كيف يمكن أن تقصيه عن ذهنها ، وهو لا يفتا يقتحمه بهذه الصورة . اغنية في المذياع ، طائرته في السماء تعكر صفو هدوئها ، ثم صوره في الصحف بكل تاكيد ، كعادته دائما .

وحينما وصلت قريتها كان الظلام قد حل وكانت الأضواء تتلألأ من ناحية القرية ، اما كوخها فكان غارقا في الظلام ، كئيبا بدون وجود سيندرز رفيقتها فيه . كان الوقت لايزال مبكرا للذهاب إلى النوم ، ورغم إجهادها ، لم تكن تستطيع الانتظار للصباح لرؤية الصغير فالقت بامتعتها في الصالة ، واتجهت صاعدة التل إلى منزل "اني" مباشرة .

- "روز" إنك رائعة متى عدت ؟"

- " منذ عشر دقائق ، وجئت مباشرة لأرى الرضيع " . وضحكت اني

وهي تقودها للصالة :

- " إن عمره اسبوعان الآن. "

قالت :

- " لقد تحركت بمجرد ان وصلني خطابك. "

- " حسنا ، لقد جئت في الوقت المناسب ، إني على وشك ان آخذه للحمام ، يمكنك ان تساعديني " .

- " حسنا ، اهلا بالصغيرين " . وكان الصغيران قد هرعا إليها بمجرد سماع صوتها وانحنت تداعب راسيهما ، ثم تحتضنهما ولكنها دهشت لانفجار "لوسي" بالبكاء ، فسالتها برقة :

- " ماذا بك ؟ "

- " لقد جئت تستردين "سيندر" " .

ورفعت "روز" وجهها لـ"اني" متسائلة ، فوجدتها تنظر إليها برجاء وقالت :

- " لقد كنت على وشك ان اسالك .. هل ستفتقدينها بشدة ؟ "

وابتسمت "روز" :

- " إنها غلطتي ان تركتها طوال تلك المدة . كان يجب ان اتوقع شيئا كهذا ، حسنا يا "لوسي" ، فلتبق هنا " .

وكافاتها الصغيرة بابتسامة تذوب رقة ، وقالت مبتهجة:

- " شكرا" ، انتي روز" ، هيا بنا يا "بيتر" نخبر "سيندر" " .

وهرع الصغيران عائدين ، وقهقهت امهما وقالت :

- " اتعرفين ؟ يجب ان يكون لك اطفال ، إنك في غاية اللطف معهم " .

وضحكت "روز" في شيء من التهكم ، وسالتها في تفكه :

- " ومن ذا الذي سيتحملني ؟ إنك تعلمين كيف اكون حينما استغرق في التاليف . قد ياتي وقت نتقابل فيه امام المنزل ، فيخاطبني قائلا :" إنني اتذكرك ، لقد اشتركنا معا في صورة زفاف ".

وهزت "اني" راسها وقالت مصممة على رايها :

- " هناك رجل مناسب في مكان ما ، إن الأمر لا يعدو ان تجديه " .

- " إنني سعيدة تماما بوضعي هذا ، فشكرا لك " وقهقهت "اني" قائلة :

- " لا اعتقد .. " لوسي " انزلي القطة ، لا يمكن ان تاخذيها معك للفراش ." فاحتضنت الصغيرة القطة المعذبة ، وقالت :

- " ولكنها تريد ذلك ! "

- " ومامي قالت لا ." .

ودخلت "روز" غرفة الاستقبال ، فوجدت "بول" منكبا في حنان على احدث ابنائه ، فحيته قائلة :

- " اهلا "بول" ، مبروك لك ." . فوقف وطبع على خدها قبلة اخوية :

- "شكرا ، وانت يا "تونو" ، ها هي عمتك "روز" ، جاءت اخيرا لتراك".

وناولها الرضيع ، فاحتضنته بذراعين حانيتين ، واخذت تهدهده وهي تتطلع في ملامحه الدقيقة ، يالك من محظوظة يا "اني" ، من حسن حظها ان شغلت صديقتها بالجدل مع طفلتها الصغيرة ، لمدة مكنت "روز" من استعادة تحكمها في مشاعرها . والتفتت لها"اني" فجاة وعيناها تشتعلان بالإثارة :

- " على فكرة ، لقد جئت بالضبط في الوقت المناسب . اتعرفين ماذا سيحدث يوم السبت القادم ، إن "جريف" سيقيم حفلة . "

- " اوه ! "

ولم تلحظ "اني" رد فعل صديقتها الخالي من الانفعال، واستطردت :

- " لا استطيع الانتظار . إن كبار النجوم سيحضرون الحفل ، بل ربما تحضره "ديانا روس" شخصيا !

لقد اقامه "جريف" بمناسبة التسجيل الجديد لـ "ستيفي ريفز" ، إنك لم تقابليها بعد بالتاكيد لقد وقع معها "جريف" عقدا منذ شهرين ، واذيع تسجيلها الأول ، الذي كتبه لها "جريف" بنفسه ، اسمه هواجس " .

وتحكمت "روز" في مشاعرها وهي تقول :

- نعم .. لقد سمعته في الإذاعة " .

- " إنها فاتنة ، بالتاكيد ستشاهدينها يوم السبت " .

- " ولكني لست مدعوة ."

- " اوه ، لا تكوني حمقاء ، ستاتين معنا ، إن "جريف" قد سال عن موعد عودتك منذ عدة ايام قليلة . هل رايته في "لندن" بالمناسبة ؟ لقد

قال إنه سوف يطلبك " .

- " لقد تعشينا معا ، اعتقد ان ابنك على وشك النوم ، فهيا به للحمام . " .

- " حسنا ، هيا ، احمليه إلى هناك . "

ولكن "اني" لم تنس الموضوع ، بل اجلته إلى ان خلد الأطفال إلى فراشهم ، ثم انهالت بلا شفقة تنتزع منها وعدا بالذهاب للحفلة ، ولم تشا "روز" ان تتشبث بالرفض اكثر من اللازم ، حتى لا تثير شكوكا لدى صديقتها هي في غنى عنها .

لم يكن ما شعرت به من توتر لحفلة "اني" في شهر مارس ، شيئا مذكورا بالنسبة لما كانت تشعر به الآن ، فقد استبد بها التوتر العصبي حتى عز عليها الطعام ، واتجهت إلى مدينة "يورك" لتشتري شيئا مناسبا ، ولكنها لم تجد شيئا يعجبها ، فقررت ان تذهب بنفس الزي الذي ارتدته في حفلة "اني" ،إذ سيكون هذا بمثابة رسالة مستترة موجهة تبين عدم اهتمامها بإثارة إعجابه بها ، فسيان لديها ان تذهب بذات الزي مرة اخرى ، هذا إذا كان منتبها لها .

وحضر "بول" و "اني" في التاسعة ليصحباها إلى هناك . وكانت "اني" في قمة الإثارة :

- " اوه ، لا يمكنني الانتظار ، إن ازيز الطائرات لم ينقطع طوال النهار. "

فردت "روز" بلا اهتمام :

- " لقد سمعتها " .

- " لقد كان يجدر بك ان تري السيارات وهي تعبر القرية . هيا بنا ، هل انت جاهزة ؟ إنك غير محتاجة إلى معطف "

وفي الطريق اطلقت "اني" لسانها في ابتهاج ، واخذت تخمن من سيكون موجودا ، وشعرت "روز" بتقلص امعائها من التوتر ، ولكنها تمكنت بصورة ما ان تجاري صديقتها فيما تحدثه من ضوضاء ، وكانت "اني" ابعد ما تكون عن ان تلاحظ اي شيء غير عادي .

وكان الأمن صارما عند البوابات ، والمدخل مزدحما بما قيمته ملايين الجنيهات من السيارات وثلاث طائرات رابضة في الحديقة ،

ورجال الأمن يحومون في كل مكان . وشعرت "روز" بالإحراج حينما لم تجداسمها في قائمة المدعوين ، فاعترض رجل الأمن على دخولها ، وقالت بسرعة :

- " إني عائدة . "

فردت "اني" في ثورة :

-"كلام فارغ! ما تظنها فاعلة؟ هل تعتقد انها ستختطف شخصا ما؟"

- " آسف يا سيدتي ، إنها التعليمات التي ... "

- " ماذا هناك ، اوه ! هاللو "روز" ، متى عدت ؟ "

وقفز قلبها بين جوانحها لسماع صوته العذب . كان مرتديا جاكتة رسمية بيضاء دون ربطة عنق ، والقميص تحتها مفتوح الياقة مظهرا لمة من شعرصدره، واحتبست انفاسها للابتسامة التي واجهها بها . واشار لهم بيده :

- " هيا للفناء الخلفي . "

وكان المنظر في الداخل اشبه بهوليوود ، مجموعة من اشهر النجوم في دنيا الفن . وكان الفناء محاطا من جهات ثلاث بالمبنى نفسه ، الذي بدا غارقا في الأضواء الموضعية التي اظهرت بديع هندسته المعمارية .

واختلط عبير الأزهار المنتشرة في كل مكان باريج عطور الزوار ، وكان الخدم في ملابسهم البيضاء ، اقرب الظن انهم رجال امن متنكرون كما يبدو من اجسامهم ، يتجولون بين المدعوين حاملين المشروبات .

وسالها "جريف" :

- " متي عدت من إسبانيا ؟ " قالت :

- " من عدة أيام " . واحتجزها بعد ان اندمج "بول" وزوجته في الحاضرين ، وسالها:

- " لم تخبريني بسفرك المفاجئ ، لقد طلبت صديقتك فاخبرتني برحيلك " .

وشعرت بدقات قلبها تضطرب ، وادركت لحظة ان اصابعها تغوص في جلد حقيبتها. "

- " أو ، لقد .. إنني لم اكن قد خططت للسفر من قبل " .

- " وكيف تسير الأمور بالنسبة للكتاب ؟ "

- " على مايرام ؟ "

- " حسنا ، هيا بنا نتناول مشروبا " .

ولمست اصابعه كوعها وهو يقودها للأمام ، فسرت رعدة في جسدها فجفلت بعيدا عنه . تلاقت نظراتهما ، نظراته متحيرة وفي شيء من الغضب ، ونظراتها واسعة محملقة . وشعرت بوجنتيها تشتعلان بالتورد ، اللعنة ! لماذا تتصرف هكذا دائما معه ؟ وشعرت باختناق في حلقها ، وارادت الاعتذار :

- " إنني .. "

- " اه ، "جريف" ، هل انت هنا ، إن "هارفي" يسال عنك " .

كانت "ستيفي" اشبه بلوحة فنية ، تمثل حلم اي رجل في الجمال ، بشعرها المنسدل في لون سنابل القمح ، وشفتيها القرمزيتين ، وقوامها المثير الذي يغطيه غلاف من الألوان الفضية ، المتلألئة ، ولفت يدها مطلية الأظفار حول ذراع "جريف" ، وابتسمت لـ "روز" في ود:

- "اهلا .. " روز" ، اليس كذلك ؟ " وكان صوتها يحمل كل الرقة والعذوبة التي فتنت "جريف" بادئ ذي بدء " ، لكم انا سعيدة بحضورك، فانت صاحبة فضل في كل هذا. " ورفعت بصرها مبتسمة لـ "جريف" وشعرت "روز" بسكين الغيرة تنغمس في قلبها ، فقد ازالت هذه الابتسامة بحرارتها اية شكوك لديها . ولامراء في ان " كل هذا " يشمل "جريف" ايضا . واجبرت نفسها على الاستجابة لها ":

- " لقد سمعت تسجيلك ، إنه جميل جدا. "

- " اشكرك . لقد كتبه لي "جريف" ، ونحن نعمل حاليا على إنتاج البوم وياله من عمل ! إن "جريف" اقسى من سائق العبيد " . اه ، من ذا الذي يمكنه ان يقاوم تلك الضحكة الرنانة ؟ " وازالت "ستيفي" شيئا ما من على ياقة "جريف " بظفر من اظفارها القرمزية ، في إيماءة لا تخفي دلالتها على "روز" التي شعرت بالدموع الحارة تملأ عينيها ، فاستدارت تبحث عن "بول " وزوجته. وكان من الصعب ان تصدق انها وسط هذا الجمع من المشاهيرتجاهد ان تبدو على راحتها وكان "توم" و"ثاي" موجودين ايضا ، و"كريسي" مع اخر صديق لها، وتجمع

جمعهم في تصرف غريزي وكانهم يلتمسون الأمان من بعضهم . وابتسمت "روز" للمنظر .

وحياها "توم" بابتسامة ود :

- " كيف حال إسبانيا؟ "

- " حارة " .

وابدت "ثاي" ملاحظتها :

- " لم تسمر بشرتك بفعل الشمس هناك . " فجاوبتها "روز" في استخفاف :

- " كان من الممكن ، لو ظللت لمدة اسابيع اخرى ، لساحت كل بقع النمش علي بعضها . " وردت عليها "ثاي " بابتسامة ممتعضة ، ولكن سرعان ما فقدت الاهتمام بها حينما مرت بهم "ستيفي" ، متعلقة بذراع "جريف" وعلقت ناقدة :

- " انظروا إلى ردائها ! كيف دخلت فيه بحق السماء ؟ إنه يبدو وكانه مدهون على جسدها " .

وزام "توم" معبرا عن إعجابه ، فوكزته "ثاي " وقالت :

- " إذا كنت معجبا بها ، فهيا حادثها . " فهز راسه قائلا :

- " انا اتنافس مع "چوردان جريفين "؟! إنك تمزحين بلا شك " .

وهمست "اني" لـ "روز" :

- " إنها رائعة الحسن ، وفياضة المشاعر ايضا . لقد كان"جريف" يقول إنهما متاخران بصورة كبيرة في الألبوم " .

وقالت "روز" وهي سارحة بفكرها :

- " اتراه يحبها ؟ " واملت الا تكشف بنبرة صوتها ما تحس به من تعاسة .

" لست ادري ، ولكنه امر محتمل ، من اسلوب معاملته لها ".

ولم تستطع "روز" ان تمنع عينيها من ملاحقتهما وهما يدوران بين المدعوين . وحتى وسط هذا الجمع المتالق ، بدوا متميزين ، وكانهما من كوكب علوي هبطا يوزعان ابتساماتهما على مخلوقات ادنى منهما مرتبة .

وكانت الخلفية موسيقى تصيح ، يصاحبها صوت "ستيفي" في

اغنية "هواجس" تحكي كلماتها عن فتاة تهيم حبا قلقا برجل . وسرت بها رعدة ، وهي تحملق في النجوم البراقة عالية في سماء الصيف فوق حوائط المنزل العتيق .

" هواجس " ، باللكلمة الخطيرة ، البالغة الدقة . وهزت راسها لتبعد عن نفسها الأفكار الميلودرامية . من الغباء ان تستسلم لها ، فهي ستتجاوز الأزمة... اليس هذا شانها دائما ؟ كفاها مراقبة لهما .

ولم يكن لها ان ترحل قبل ان يزمع "بول" وزوجته الانصراف . وقد ذهبا للرقص واتحدت "ثاي" مع "كريسي" في نقد كل امراة باللسان الحاد . وقبضت على كاسها بكلتا راحتيها ، وانسحبت في هدوء إلى الظلال .

الفصل الثامن

لم يكن داخل المنزل مطروقا ، فاخذت تتجول من غرفة لاخرى على غير هدف متذكرة ايام لهوها فيه ، ومتذكرة اكثر ، آخر مرة كانت فيه ، في شهر مارس الماضي .

ولذا فربما لم يكن من قبيل الصدفة ان تقودها قدماها لغرفة البيانو كانت التجديدات قد اكتملت ، وصفت الجدران بالكتب ، وعلى الأرض فرشت سجادة صينية رقيقة .

وفي اصصها نسقت الأزهار على المدفاة ، وعلى البيانو .

ورفعت غطاء البيانو ، واخذت اصابعها تنساب علي مفاتيحه باخر لحن عزفه لها وتمايل راسها مع الحانه .

- " من الأفضل ان تتفرغي للكتابة ... فلن تكون مهنتك العزف "

واستدارت بسرعة ، وقلبها يدق ، وشهقت قائلة :

- " اوه .. لم اسمعك قادماً " .

وابتسم لها ابتسامته الخطرة ، الجذابة ، وتقدم إليها ، وما إن لمست اصابعه مفاتيح البيانو حتى انبعث لحن يثير الأشجان .

www.elromancia.com

وضحكت في استحياء :

- " إنك علي حق ، ساترك لك العزف ، واتفرغ للكتابة"

وقال "جريف" موبخا في قسوة مفتعلة :

- " إن لدي شكوى منك ، شهران على البعد ، دون حتى بطاقة بريدية ؟ "

وغمغمت :

- " لم اكن اعتقد انك تتوقع شيئا من هذا ، كما انك غبت في امريكا لثلاثة اشهر لم اتلق منك شيئا خلالها . "

- " واحدة بواحدة ! " واخذ يتامل رداءها حتى اشتعل جسدها كما لو كان يداعبه ، وغمغم :

- " إني احب هذا الرداء عليك فانطلق لسانها في بلاهة :

- " إنه في الواقع الوحيد الذي املكه ، لقد رايته من قبل .. في حفلة عشاء "اني"

وتقدم منها قائلا :

- " اتذكر ذلك " . ولم تستطع التحرك او التراجع . وسالها :

- " وماذا كنت تفعلين في إسبانيا ؟ لا يمكن ان تكوني منكبة على العمل طوال الوقت " فقالت بحماس :

- " كلا ، بل تمتعت بإجازة ايضا ، في كايديز ، حيث يقضي الإسبان انفسهم عطلاتهم ، كان الشاطئ جميلا ، بالقرب من الفندق . ولكن لم استطع البقاء في الشمس طويلا ، فجلدي يحترق بسهولة ، وبخاصة مع هذا النمش البشع "

فقال بصوت يسكر راسها :

- " انا لا اجده بشعا ، بل إني احبه " وتحسس ذراعها مرسلا شحنات كهربية في بدنها :

- " كم بقعة منه ؟ .. واحدة ، اثنتين ، ثلاثة ...."

ورفعت عينيها في عينيه ذات البريق المغناطيسي ، وهمس لها بصوت اجش :

- " إني سعيد بعودتك ، لقد استبد بي الملل من الانتظار " .

وتحرك إلى الباب ، يدفعها معه ، وعلي الفور ادركت غرضه ، فجفلت

بعيدا عنه . فقال لها :

- لن يفتقدنا احد لبعض الوقت ، طالما الشراب يدور بينهم لا ينفد"

وحملقت فيه بعينين مبللتين :

- " كلا إنك لا تبغي إلا امرا عارضا ... لا يهمك مع من " .

فانفجر فيها :

- " ماذا ؟ ما الأمر بحق السماء " وشعرت باصابع فولانية تنغمس في كتفها وقذفت في وجهه بمرارة :

- " إنك بالتاكيد لا تريدني لجمالي ، بل لانك تتصور اني سانوب بين يديك، ودون مجهود منك " وهزها بعنف :

-"انت ... انت وعقدك النفسية الملعونة ، حسنا ، انتهى الأمر معك ياسيدتي!!

وصفق الباب وراءه ، تاركا إياها تنتفض غير قادرة على التحكم في نفسها، ودموعها تنهمر في صمت ، وكافحت ان تكف عن النحيب ، فلعل احدا يدخل فجاة .

وفتح الباب في هدوء ، واستدارت فزعة ، وكانت "ستيفي" . وغمغمت في اشتياق :

- " انت يا مسكينة ." واقتربت منها ووضعت يدها على كتفها تسرية عنها وقالت:

- " امعك منديل او ما اشبه ، لقد فسد ماكياجك كله ، وانفك محمر .. إن منظرك بشع "

وحبست "روز" نفسها في شهقة انتحاب ، واطبقت فكيها بعنف . إن شيئا ما في هذه الفتاة يجعلها تكرهها بعنف ، رغم بريق الفتنة فيها. واخذت تبحث في حقيبتها عن منديل .

واستمرت " ستيفي " :

- " إني اسفة . اتصور ما حدث ، إنها غلطتي في الواقع ، ولكن ذلك يثبت نجاح تكتيكاتي " وابتسمت في اعتداد بنفسها :

" ها هو استبد به الإحباط . ولكن لن اسلم نفسي على الإطلاق . فلست انتوي ان اكون مجرد دمية معلقة في حزامه . بل ساجعله يتزوجني " .

وحملقت "روز" فيها في استغراب .

واستطردت الفتاة بثقة في صوت متناغم :

- " لا يهمني إذا كان يطاردك ، فانا اتوقع منه مثل هذه الأمور إلى ان يعلن استسلامه الكامل . "

وسرت في "روز" رعشة رعب ، كما لو كانت تنظر إلى افعى جميلة . وغمغمت:

- " عن إذنك ، سأذهب لأغسل وجهي " .

وفرت هاربة من الغرفة ، ووجهتها ذكرى في عقلها الباطن إلى غرفة للضيوف تحت السلم ، اصلحت فيها شانها في عجالة ، وانسلت راجعة للفناء ، دون ان يكون احد قد فطن لغيابها .

وكان الخريف جميلا ذهبيا ، ولكنه ضاع بالنسبة لـ "روز" . فقد ركزت بكل عزم على كتابها - محتفظة ببضع ساعات للنوم . لا تخلد إليه عادة إلا مع ضوء النهار . اما طعامها فلم يزد عن الزبادي مع (الكورنفلاور) ، تتناوله امام الشاشة الخضراء لجهاز الكمبيوتر .

ومرت الأسابيع سريعة ، لا تعد ، وكانت منهمكة في تنقيح الكتاب ، لا ترغب في ان ترسله للنشر حين اتصلت بها "اني" ، سائلة إياها ان تحضر قداس" تعميد طفلها . وتكون امه في العماد . ودهشت "روز" لسرعة ما مر بها من وقت - " روز" ، لقد حل الكريسماس ، إن عمر الطفل حوالي ثلاثة اشهر الآن " .

- " هكذا سريعا ؟ إني .. لم اره منذ اسابيع "

- " لولا انشغالي ، لحضرت لأخرجك من مخبئك ، إنك غير معقولة يا "روز" . الم تكوني تتناولين طعاما ؟ "

- " بل كنت آكل كفايتي " .

- " سوف احضر حالا ، ولو رايتك قد فقدت وزنا ، فساعمل بنفسي على تسمينك "

والقت "روز" نظرة علي ما حولها في الكوخ ، لتراه علي حقيقته بعد فترة طويلة . الستائر لا تزال مسدلة رغم ان الساعة الثالثة عصرا ، والتراب والأوراق المهملة في كل مكان . فردت على صديقتها بسرعة "

- " كلا ، ليس اليوم يا "اني" .. اعدك ان احضر عندك غدا " .

- " كلام غير مقبول ، ساكون عندك بعد عشر دقائق " . ووضعت السماعة قبل ان تتمادى "روز" في اعتراضها . !

وغمغمت "روز" :

- " اللعنة ! " لقد ضايقها هذا التدخل ولكن الكتاب قد اوشك على الانتهاء بل إنه قد انتهى في الواقع ، وهي التي تدور في احابيله دون داع . لقد ان الأوان ان تتحرر ، فلتفتح الستائر ولتستنشق الهواء المنعش .

وهرعت باقصى سرعة ، تجمع النفايات بعيدا ، وترتب الكتب على مكتبها ، وتشغل المكنسة الكهربائية ، وما إن حل ميعاد وصول صديقتها ، حتى كانت المكنسة قد توقفت ، و حل المذياع محلها ، وهي تغني في روح مرتفعة .

وقبل ان تفتح صديقتها فاها ، قالت بمرح :

- " حسنا ، المكان فوضى ، وانا نفسي فوضوية ، وفقدت بعضا من الوزن ، وكل ما احتاجه هو زوجة طيبة " .

وردت "اني" موبخة :

- " بل زوج طيب ، لا يجعلك تنسين نفسك هكذا " ولم يخدع نظرها ما فعلته في الدقائق الأخيرة .

- " ولكنه قد انتهى على الأقل ، وعلى استعداد لإرساله . ارجو ان يعجب الناشر " .

واخذتها "اني" بين ذراعيها :

- " حقا ؟ لكم انا سعيدة انظري ! فلتبقي معي عدة ايام ، ولنذهب غدا إلى "يورك" لبعض المشتريات . ويمكن لمسز "بتروورث " ان تعتني بالأشقياء حتى نعود " .

ووافقتها "روز" على الفور :

- " فكرة طيبة اعطني فقط دقائق اجمع حاجاتي ، وارسل الكتاب بالبريد في الطريق " .

فردت "روز" ذراعيها ، وظلت تدور في مرح ، وترقص كطفلة صغيرة في الشارع تعبر عن سعادتها . وضحكت "اني" وهي تقول :

- " "روز" ، إنك مجنونة " قالت :

www.elromancia.com

- " اعلم ، ومن يعنيه ذلك ؟ انظري .. انظري هذا " .

واشارت إلى دمية كلب ذي فراء غزير وقالت :

- " إنه من النوع الذي يجلس "وينبح" كلما صفقت له .. انظري "

وجرتها إلى داخل المحل ، مصرة ان تجري عرضا لها :

- " يجب ان اشتري واحدا لابني في التعميد " .

فقالت "اني" معترضة :

- " إنه سيفزعه غاية الفزع " .

قالت :

- " كلا ، لن يحدث ، بل إني محتاجة واحدا لي ايضا ، فهو الذي يناسبني فعلا ، لا يهم إن نسيت ان اطعمه "

وقهقهت "اني" :

- " هيا ، اسرعي إذن ، فعلي ان اشتري بعض الملابس لحفلة التعميد وكذا انت . فلن اسمح لك ان تحضري حفلة ابني كام له في العماد مرتدية بنطلون جينز ، ووافقتها "روز" بمرح :

- " بالتاكيد ، ساختار شيئا يلفت النظر ، فانا سيدة ثرية الآن ، كما تعلمين. لقد استلمت شيكين محترمين منذ عدة ايام ، بل قد اشتري قبعة ايضا ! من الذي اخترته كاب في العماد بالمناسبة ؟ توم و جريف " .

- " اوه ! " وابتسمت رغم شعورها فجاة بانها مقبلة على ما قد لا تحمد عقباه . لقد كانت تقنع نفسها طوال الفترة الماضية بان الجرح بسبيله للاندمال، ولكن مجرد ذكر اسمه كان يؤدي إلى عودة النزف وسالتها :

- " الن تدعي "ستيفي" ايضا ؟ "

والتوت شفتا "اني" في تقزز وقالت :

- " كلا ، ثم إنها ليست هنا ، بل في جولة بامريكا " .

- " كذا ؟ إذن فامورها تسير على احسن حال " .

- " الا تستمعين للإذاعة او تقرئين الصحف ؟ لقد طبقت شهرة تسجيلها الثاني الآفاق ، لقد اصبحت نجمة ساطعة الآن "

وقالت :

- " لم اكن اعلم ، ولكني غير دهشة في الواقع - إنها من النوع الذي يعرف ما يريد ، وكيف يصل إليه " ويتضمن ذلك زواجها من "جريف" ايضا ، بحسب ما تذكرت "روز" تعبيرها "تكتيكاتي " كيف تسير هذه التكتيكات الآن يا ترى ام تراها استسلمت ، واقتنعت بان تكون دمية في حزام .

وكان يوم التعميد صافيا ، جميلا من ايام شهر ديسمبر ، وقد كسا هطول الثلج طوال الليلة الماضية كل فروع الأشجار باللون الفضي ، واصبح الجليد يلمع في شمس الشتاء الخافتة وامتلات كنيسة القرية بالوجوه المبتسمة ، التي قدم اصحابها لتعميد طفل "بول" و"اني " .

كانت الكنيسة قد بنيت وقت رواج تجارة الصوف في المنطقة ، فكانت اكبر مما يحتاجه تعداد القرية . وكانت للكنيسة نافذة فوق المذبح ، يلمع زجاجها لمعان الأحجار الكريمة .

وجلست "روز" في الصف الأول ، و" لوسي" تضم جسدها إليها . وكانت قد اشترت شيئا متميزا للمناسبة كما وعدت "اني" ، تايير من الموهير في لون السفير الأزرق ، من إنتاج احد كبار مصممي الأزياء ، وعلى راسها قبعة انيقة ذات خمار .

واستدارت نصف دورة لتحادث صديقا خلفها ، ولكنها ، على الرغم من مجهودها الا تبين انتباهها ، كانت تدرك وجود "جريف" على بعد عشر اقدام منها . كان يرتدي حلة في لون دقيق الشوفان تناسب لونه الداكن ، وتبرز مظهر القوة في صدره .

لم تكن قد راته منذ ليلة الحفلة ، وكانت "اني" تمدها في براءة باخبار عمله في موسيقى احد الأفلام ، ويبدو انه مثلها حينما ينكب على عمل يريد إنجازه .

وكان امرا عجيبا ان تشعر كلما راته بتجدد تاثير قربه منها عليها . كان يضحك مع "بول" على شيء قاله له، وحينما لمح "روز" ابتسم لها .

وادارت عينيها على الفور ، ثم احست في الحال بالأسف لتصرفها . كان من المفترض ان تجيبه بكل بساطة بابتسامة ودود . ولكن الوقت قد فات لاستدراك الموقف . لقد اخذ عازف الأورغن مكانه ، وصدحت الألحان الغنية ، فهب الجميع على اقدامهم ، وسرعان ما امتلا المكان

بالتراتيل .

وجاء موعد التعميد في نهاية القداس . وحينما خرجت "روز" من صفها لتتبع "اني" و"بول" ، وجدت نفسها تسير بين "بول" و "جريف" ، ولم يكن من الصعب ان تشاركهما الابتسام ، وبدت بينهما واثقة من نفسها بصورة لم تتوقعها .

واما نجم الحفل ، فقد بدا الصراخ وهو في ملابس التعميد منذ لحظة وجوده بين ذراعي القسيس ، وطوال فترة تناقله بين الايدي إلى ان استقر اخيرا بين يدي والدته .

وانتهى القداس ، وانصرف الجميع إلى منزل " اني" حيث مد السماط الوافر باشهى الاطعمة ، تتوسطه كعكة التعميد البيضاء ، وسرعان ما اكتظت الغرفة الرحبة في المنزل بالمدعوين ، كلهم يتحادثون في نفس الوقت . وبعد فترة السلام الذي وجدته "روز" في وحدتها السابقة ، كان الامر بالنسبة لها اكثر مما تحتمل .

فانسحبت للصالة ، حيث وجدت "اني" تستعد للصعود إلى الطابق الاعلى مع الطفل كثير الصراخ .

فسالتها :

- " ما الخطب ؟ هل من شيء يمكنني المساعدة فيه ؟ "

وتنهدت "اني" :

- " ساحاول ان اجعله ينام ، فقد ادت كثرة تناقله بين الايدي إلى ان يصير عصبيا بعض الشيء . " فردت "روز" على الفور :

- " دعيه لي ، إني احب ذلك " .

- " احقا ؟ هل انت راغبة في ذلك ؟ "

- " بل ساكون شاكرة . هيا ايها الرجل الصغير " واخذته بين ذراعيها في حنان :

- " هل يريد تغيير الملابس او الإطعام او اي شيء ؟ "

-"قد يريد قماطات جديدة ، وستجدينها في الدولاب ، اما البودرة.."

- " لا تشغلي بالك ، انا اعرف كل شيء . عودي انت إلى حفلتك . سيمكننا ان ندبر امرنا ، اليس كذلك ايها الرجل الصغير ؟ فلنخرجك اولا من هذه الملابس الغبية ، وتخلد بعدها للنوم " .

وكان مكان العناية بالطفل في الطابق الثاني العلوي ، على ارتفاع يسمح للضوضاء في الدور الأرضي ان تخمد كلية . واخذت "روز" تدندن للصغير وهي تبدل له ملابسه ، وتضع الدمية بين ذراعيه ، ثم اجلست نفسها على كرسي هزاز وبدات تهدهده ليستغرق في النوم .

وكانت سارحة في افكارها حينما احست فجاة بان هناك من يراقبها . فرفعت بصرها فوجدت "جريف" عند الباب . ودخل الغرفة في هدوء ، وجلس قبالتها على كرسي منخفض .

وحياها بابتسامته التي لا تقاوم :

- " اهلا " ومد يده يعبث بوجه الطفل الدقيق .

- " هذه اول مرة اراك فيها منذ اشهر ، واجدك فيها بين ذراعي شخص آخر"

وتمكنت من ان تبتسم :

- " ولكنك لا تنكر انه شخص متميز " وهز راسه موافقا :

- " هذه اول مرة يطلب مني ان اقوم بدور الاب في العماد ، إن "اني" و"بول" قوم طيبون فعلا " ونظرت إليه بتوجس قائلة :

- " نعم ، هم كذلك فعلاً " . إنه لم يحاول ان يغازلها ، إنه فقط يتصرف بطريقة ... ودية . ولعل هذا يجيب على تساؤلاتها . لعل امور مع " ستيفاني" تسير بصورة طيبة ، وقالت له :

- " لقد اخبرتني "اني" انك تعمل في فيلم " .

- "هذا حق . لقد عملت بالنصيحة ان اركز على موسيقاي .. لقد كنت على حق في نصيحتك إن ذلك ادعى إلى السعادة ، والفضل لـ"تينووجانيتا" في استطاعتي ان اركز على عملي اربعا وعشرين ساعة في اليوم . "

وضحكت "روز" :

- " اعلم . وبالنسبة لي فإن الفضل لـ " اني " في الإلحاح على تناول الطعام وبالنسبة لعمل المنزل ، فلن انتهي حتى تصل الاتربة إلى ركبتي ، فلا استطيع التفكير " واغرق في الضحك . ولاول مرة منذ بدء علاقتهما تشعر بانها يمكنها الشعور بالراحة في صحبته . وقال :

- " اهذا ما تفعلينه حينما يرتج عليك ، شغل المنزل ؟ "

www.elromancia.com

- " احيانا ، واحيانا اخرج للتنزه . إن حوالينا اماكن لطيفة ، ولا يوجد كثير من السياح في هذا الوقت من السنة " .

وابتسم لها :

- " اود رؤيتها . هل تاخذينني إليها ؟ " فردت موافقة :

- " بالتاكيد "

- " حسناً " . وبدا ان الحديث بينهما قد استنفد ، فوقفت لتضع الصغير في فراشه ، ثم خاطبته :

- " تصبح على خير ايها الصغير " ثم نظرت لـ " جريف " :

- " من الافضل ان نتركه الآن " .

واوما ، وتبعها سائرين على اطراف اصابعهما .

واغلقت الباب بكل هدوء :

- " اوه ، علي ان اعود للحشد اسفل ، وإلا اتهمت بانني غير اجتماعية . إن المشكلة انه ليس لدي حصيلة كافية للتحدث في امور دبغ جلود الخراف او اثمان النعاج " .

وقهقه "جريف" :

- " إنه موضوع افضل على الاقل من الحديث عن الملايين التي حققها احد المغفلين من اخر البوم له " .

- " ربما تكون على حق " .

وكانت قد نسيت وعدها الذي اعطته دون جدية . ولكنها فوجئت في الصباح التالي بالطرق على باب منزلها . فلما فتحت الباب وجدته واقفا ، واضعا يديه في جيبي سترته ، يبتسم لها في صداقة .

واعلن لها :

- "اهلا ، لقد ارتج علي مرة اخرى ، ما رايك في جولة قصيرة تزيل اعشاش العناكب من ذهني " .

ووافقت مقطوعة الانفاس :

- " اوه .. نعم ، كما تحب " وكان قلبها يسارع لرؤيته ، حتى مع تحفظهامع رزانة عقلها . "

- " الن اعوقك عن شيء مهم ؟ "

- " كلا ، بالتاكيد . لقد كنت لتوي ابحث عن سبب اهرب به من

تنظيف الدولاب " .

- " إذن ، فيسعدني ان اقدم لك هذه الخدمة " .

وابتسمت له :

- " فلننتظر إذن عدة دقائق ، ساحضر معطفي " وتناولت معطفها الوبري القديم ، ولم يكن هذا مهما ، فهي لا تبغي التاثير عليه على اي حال . وقالت :

- " جاهزة ! "

وكانت نزهة لطيفة في المروج ، والنسيم يداعب شعرها ، والشمس الواهنة تشيع شيئا من الدفء ، والمروج مبرقشة بالوان النباتات ، وعلى الارتفاع تحوم انواع الطيور . وسارا في صمت لمدة ، و"جريف" يضبط مشيته على مشيتها ، وكان طريقهما يساير الغدير الذي ينساب اسفل الجسر ، وفي اقصى طرف من المرج ينحرف انحرافا حادا حول صخرة نائية تشرف على هوة سحيقة لبركة داكنة المياه .

وقالت له :

- " هذا هو مكاني المفضل ، لا يعرفه الكثير من الناس " .

وتلفت حواليه ثم قال موافقا :

- " فهمت لماذا تحافظين عليه سرا خاصا بك " .

وجلس على حافة الصخرة ، وجلست إلى جواره محافظة على بعد مناسب . وكان الأمر يتطلب جهدا منها ان تحافظ على نبرة صوتها في حدود الصداقة البريئة .

وسالته لتفتح بابا للحديث :

- " كيف يسير العمل في الفيلم ؟ "

- " ليس سيئا " .

- " وما موضوع الفيلم ؟ "

- " نوع من مغامرات الفضاء ، تلعب فيه المؤثرات الصوتية دورا مذهلا ، ولذا فانا استخدم فيه تراكيب من الاصوات ، ولكن على تركيبة سيمفونية "

واخذت تستمع إليه في تشوق وهو يذكر لها الخطوط العامة للفيلم، وافكاره حول موسيقاه ، ويدندن لها بين الحين والحين ببعض انغامه

www.elromancia.com

حتى انها لم تشعر بمرور الوقت " .

وهب في النهاية واقفا على قدميه :

- " لقد ابقيتك في هذا الجو البارد ما فيه الكفاية " .

وابتسم لها وهو يمد لها يده يساعدها على النهوض .

- " لا عليك ، ارجو ان يكون قد افادك ذلك " وتمنت الا يكون قد لاحظ اضطرابها للمسة يده

- "لقد كان ما احتاج إليه - بالضبط - الهواء المنعش ، والمنظر الخلاب وصحبة فتاة لا تروم شيئا " .

وتمكنت من الابتسام سعيدة انه لم يدرك مدى خطئه في العبارة الأخيرة " .

وقال وهما يعودان ادراجهما :

- " ربما يمكننا ان نعيد الكرة غداً

وقفز قلبها ، ولكن صوتها ظل على ثباته :

- " ولم لا " .

وافترقا عند تفرع الطريق، لياخذ هو الطريق المختصر إلى "بريوري"، واخذت تراقبه وهو يبتعد ، وعقلها في أوج غليانه . ها هو يعرض صداقته ، وهو امر له قدره لديها . ولكن الأمر ليس سهلا فعليها ان تراقب قلبها جيدا في كل لحظة.

وسرعان ما اصبح الأمر روتينيا كل يوم ، جولة في المروج ، ومشاركة في الاستمتاع بجمال الطبيعة في "يوركشاير" ليس إلا . وحينما اقتربت اعياد الميلاد ، ودت لو تساله خططه فيها ، ولكنها لم تكن تعرف كيف تدخل للموضوع خشية ان تتجاوز الخط الدقيق لحدود صداقتهما واخيرا ، اطلقت عبارة شاردة:

- " ها هي اعياد الميلاد قادمة . هل ستعود " ستيفي " ؟ "

- " كلا .. ولماذا تعود "؟

فرمشت بعينيها له في دهشة :

- " الديها من المشاغل ما يعوقها عن الحضور في اعياد الميلاد ؟ "

وهز كتفيه العريضتين :

- " إنه وقت لا يختلف عن اي وقت من اوقات الأسبوع " .

ولم يبد على صوته اي اثر لتاثر عاطفي .

وصدمتها هذه اللامبالاة منه لمناسبة كهذه ، فقالت :

- " ولكنها ... اعياد الميلاد ! "

واجابها بلهجة هازئة :

- " نعم .. وقت التمنيات الطيبة . حيث القلة القليلة القادرة في العالم يتهيؤون له بكل ما اوتوا من غباء ، وبقية العالم يتضور جوعا كل فرد يندفع لشراء هدايا تفوق طاقته ، لا لسبب إلا توقعه لهدايا في المقابل " واشاح بيده في امتعاض :

" إن الأمر برمته يدفعني للغثيان "

وخيم الحزن على صوتها وهي تساله :

- " لماذا هذه النظرة التشاؤمية منك هكذا على الدوام . هل تعتقد ان كل إنسان لا يعطي إلا متوقعا لمقابل ؟ " فرد في صوت اجش :

- " لم اقابل بعد من هو على العكس " ودس يديه في جيبي سترته ، وحملق في التلال الجرداء :

" نظرة تشاؤمية " لم اجد بعد سببا وجيها يدفعني الا اكون كذلك "

واستطرد ، وكانما يحادث نفسه :

" اتعلمين ؟ حينما كنت طفلا صغيرا ، وحين كنت اسال ماذا اريد ان اكون حين اكبر ، كنت اجيب اني ارغب في ان اكون اكبر نجم موسيقي ، وكنت احفظ كل اغاني الإذاعة ، واحلم بالوقت الذي اقف فيه على مسرح كبير امام الآلاف الذين يصرخون امامي . وجاء اليوم الذي تحقق فيه كل هذا ، حيث تحيط بك الأصوات كموجات من المد . إن المسارح الغنائية تختلف عن المسرحيات ، حيث يصطف الناس لشراء تذاكرهم ، لا لشيء إلا ليسمعوك انت بالذات ، تشعرين بحبهم ، اناس لم تلتق بهم من قبل ، وكل ما يريدون ان يحصلوا عليه هو مقابل مادفعوه .

ولكن سرعان ما يلتف حولك آخرون ، لا هم لهم سوى ان تبدي في ابهى صورة ، فهم قد اتخذوك تجارة لهم . يبتسمون في وجهك ، وهم يسلخون جلدك من ورائك . حتى السيد الوالد ، الذي هجرنا وانا في الخامسة او السادسة ، تاركا الوالدة لتدبر امورها بنفسها ، يظهر

www.elromancia.com

فجاة ، فرحا بلقاء ابنه الذي فقده طويلا . "

وضحك بمرارة :

" ثم تدخل المراة في الصورة . وفي دنيا الموسيقى إما ان يقع الإنسان فريسة إدمان المسكرات ، او المخدرات ، او المراة ، وهي اهون الشرور ، وهو ما وقع عليه اختياري . وكنت في البداية كطفل دخل محلا للحلويات ، ولكن لم يستغرق الأمر وقتا طويلا ليدرك المرء انه ليس إلا واجهة لهن ، يتعلقن به من اجل الشهرة ، صورة تؤخذ لهن في إحدى المجلات ، او ربما يدخلن من خلالها عالم الغناء ، سائلين خدمة بسيطة ... إيه ... نظرة " تشاؤمية ! "

وحملقت فيه بعينين رانت فيهما الكابة ، لا تدري بم تجيبه . واسترجعت حديثه في شقة لندن :

- " بعد مدة ، تشعرين انك استنفدت كلية " .

ماذا يمكنها ان تقول ؟ إنه لا يريد تعاطفا ، فكيف تظهر له تفاهما ؟ لقد واجه الأعاصير طوال حياته ، وهي التي لم تتحمل هبة نسيم ، لم ترفع راسها منذ ان هبت عليها ، وتبعته وقلبها يعتصره الألم ، وكان هذا القبس من الجزء المظلم من حياته قد زاد حبه في قلبها .. تحب فيه الإنسان ، وليس الصورة ثنائية الأبعاد التي تعلقت بها على مدى السنوات الماضية . إنه تركيبة معقدة .. يسلب اللب ، ذو جانبية تاخذ بانفاسها ، ولكنه ليس خالصا لها على الإطلاق .

ربما من الأفضل ان تبتعد نهائيا . يمكنها ان تبيع الكوخ لـ"توم" . ولا تعود على الإطلاق .. ولكنها لن تستطيع ان تهرب من " جريف " مهما ابتعدت .. هل يمكنها ان تتحدى قانون الجاذبية ؟

وسارا لساعات في ذلك الصباح ، "جريف" يبدو وكانه نسي ان يخفف من سرعته ، وهي تحاول جاهدة ان تلاحقه . ولم يتبادلا الالفاظ إلا لماما حتى وصلا لمفترق الطرق . وعنده توقف ، وابتسم ابتسامة زائغة : وغمغم :

- " شكرا لك يا سيدتي "

- " عن .. عن اي شيء ؟ "

- " عن انك اعرتني مروجك " وتناول وجهها بين راحتيه ، وقال :

- " إذا كان الأمر يعنيك ، فعيد ميلاد سعيد " وطبع قبلة حقيقية على ثغرها، ثم انصرف . تاركا إياها ، متجمدة في مكانها ، وكانها قدت من صخر بارد ".

www.elromancia.com

الفصل التاسع

لم يظهر "جريف" في قداس عيد الميلاد ، ولكن "روز" لم تكن تستطيع أن تبعد كلماته عن ذهنها ، حتى وهي في وسط البهجة والضحك لعشاء عيد الميلاد الذي اقامته اسرة "أوسبورن" السعيدة . وتطلعت حواليها ، ممتعضة لتلميحاته حول هذه المناسبة . إن كل شيء يبدو على ما يرام ، فما حقه في أن يفسد هذه البهجة بنظرته التشاؤمية ؟

- " غرامة عن سرحانك " .

ورفعت بصرها إلى "توم" بابتسامة وهو يقف بجوارها .

- " يؤسفني ان اخيب ظنك ، لم اكن سرحانة ، بل كل ما في الأمر اني اتمتع بهذا الجو " .

ورمقها بنظرة شك ، ولكنه لم يجادل ، بل سال :

-"ماذا عن كوخك ؟ مازلت مهتما به كما تعلمين "وجاوبته في تردد :

-"لست ادري بعد ، إنه في حاجة لإصلاحات كثيرة " فقال بحماس :

- " أعلم ، ولكن ردك شجعني ، فلم يكن رفضك قاطعا كالعادة " .

وضحكت وهزت رأسها :

- " يالك من مثابر "

- " كل أملي أن أجعلك تملين إلحاحي " .

- " لعلك لا توافق على الثمن ، أو ربما لا يفيدك في الحصول على قرض بضمانه لقدمه " .

- " لست أريد قرضا ، إن لدي ما تركته لي عمتي من مال . ويمكنني أن أحرر لك العقد في دقائق .

ثم إني لا أريده مجرد كوخ للعطلات ، أريده أن يكون للإقامة الدائمة .

وهذا ما سيكون ، إن أغلب أعمالي هناك ، مع فلاحي ومزارعي المنطقة ، سيكون مقرا مهما لي ، وحينما نتزوج أنا وثاي .. "

وحملقت فيه ، وشهقت قائلة :

- " توم ! إني لا أظنك تتزوج "ثاي" ؟ "

وابتسم :

- " بل سأفعل . أعلم أنها ارتكبت أخطاء ، ولكني أستطيع أن أتعامل معها "

وبدا واثقا تماما ، ولم تشك هي في ذلك ، فهو سوف يعطيها الاستقرار الذي تنشده ، وهي ستشيع البهجة في حياته ، وسوف يكونان ثنائيا متوافقا .

- " النقطة المهمة هي أنها لا تريد الانتقال من "أرنبي بريدج" ، وأنا متفهم ذلك ، فهنا كل أصدقائها ، ولكني لن أنتقل إلى مسكنها هي، فهذه غلطة "چون" من البداية . لقد كان المسكن مسكنها ، ولم يكن له أن يفعل أي شيء دون أن يبدو متدخلا . "

وهزت رأسها ، مسكين "چون" - زوج "ثاي" الثاني - إنه لم يكن من

المنطقة. كان رجل أعمال ناجحا من "ليدز" ، ولم يشعر بالانتماء لمنطقة المروج هذه على الإطلاق ، ورفضت "ثاي" أن تنتقل منها . وكان الزواج منهارا منذ البداية . ربما يكون الحظ في المرة الثالثة ، وتمنت "روز" هذا من كل قلبها . إن لـ " ثاي" جوانبها الطيبة ، حين لا يكون هناك رجل تتنافس عليه . وسوف تهتم بالكوخ اهتماما بالغا ، فلديها حس راق في الأمور المنزلية .

فأذعنت مستغرقة في التفكير :

- " حسنا .. سأفكر في الأمر ، ولو فكرت في بيعه ، فستكون أول من يعلم " .

وظلت هادئة بقية اليوم ، تمعن التفكير فيما قاله "توم" . ربما كان من الأفضل أن تبيع الكوخ وترحل -ذلك أفضل من بقائها على انتظار ، تنتظر اقتناص أية لحظة تكون فيها بالقرب من "جريف" ، كحيوان من أكلي النفايات تنتظر ما يتساقط من مائدة " ستيفي " .

عليها أن ترحل ، تبدأ حياة جديدة ، فها هي في طريقها لأن تكون مؤلفة مرموقة ودخلها وفير - بل إن هناك محادثات حول تحويل أحد كتبها إلى مسلسل تليفزيوني . عليها أن ترحل إلى "لندن" ، حيث بؤرة النشاط ، ويمكنها هناك أن تستغل وقتها بأحسن صورة .

وكان من المستحيل ألا تلاحظ "أني" استغراقها في التفكير . فسألتها وهما يضعان الأطفال في فراشهم :

- " ما الخطب ؟ ألم تتمتعي بالحفلة ؟ " فردت على الفور مؤكدة :

- " بلى ، لقد أمضيت وقتا رائعا ، لكم يسعدني رؤية الأطفال وهم يفضون أغلفة هداياهم " وابتسمت في حنان لـ "لوسي" وهي متدثرة بغطائها في سلام، وعلى الوسادة يبدو رأس دب وردي اللون ، بجواره زميله المتهرئ ، والذي لايزال أثيرا ، منذ أن ولدت .

- " إذن فما هو الموضوع ؟ "

www.elromancia.com

وهزت كتفيها :

- " احيانا افكر .. هل من الصواب.اقصد كل هذه الحركة التجارية ، وما ينفقه الناس بهذه الصورة - بالتاكيد قد يكون من الافضل لو وجهت هذه الاموال وجهة افضل "

وضحكت "اني" في رقة :

- " إنك تتحدثين مثل "جريف" . "

وشعرت "روز" باحمرار وجنتيها :

- " ربما كان على حق " .

- " ماذا ؟ إننا لا نقدم ديكا روميا وعصيدة عيد الميلاد ؟ ولا نقدم هدايا فيما بيننا ؟ " وانحنت تقبل اطفالها واحدا بعد الآخر وتهمس :

- " نوما هادئا يا احبائي " قالت "روز" مستغرقة في التفكير :

- " ربما كانت نظرة تقدمية " ، ثم ضحكت في شيء من الخجل :

- " ربما تولى "تينو" و " جانيتا " إجباره على الا يتجاهل هذه التقاليد "

قالت " اني " :

- " إنهما بالمكسيك ، لحضور راس السنة مع عائلتيهما " ، ولم تكن تدرك ان صديقتها ستاخذ الأمر بهذا الاهتمام .

- " هل يمكن ان تقصي علي قصة ، آنتي روز ؟ " ورفعت يدا صغيرة تجاهها وسحرتها عينان دقيقتان زرقاوان ترقبانها .

- " بالتاكيد ، ولكن بعدها النوم مباشرة - وعد منك ؟ "

وهزت الصغيرة راسها .

وكان الوقت متاخرا و"روز" تتهيا للرحيل ، وسالتها "اني" :

- " امتاكدة انت انك لا تبغين البقاء لقضاء الليل ؟ " وكانت "روز" ترتدي معطفها . ليس ذلك الوبري القديم ، ولكن المعطف الذي اشترته واحضرته معها من" يورك" ، اشبه بمعاطف الجواسيس ذي ياقة

عالية، يحلو لها ان ترفعها لتغطي اذنيها، متصورة نفسها "ماتا هاري" :

وضحكت لـ "اني" :

- " اين سابيت ؟ إن عندك والديك ، ثم "توم" ايضا ، ولن يكون مريحا لي ان انام فوق الدولاب . ثم إنك ستكونين متاهبة للذهاب إلى " يورك " عند الفجر " .

- " حسنا ، هل اخذت كل شيء ؟ "

- " نعم ، شكرا على الهدايا يا " اني" ، وشكرا على استضافتك لي طوال اليوم " . وانحنت في تاثر ، وطبعت قبلة على خد صديقتها ."

- " اوه، لا تكوني سخيفة ، اهلا بك في اي وقت ، وانت تعلمين ذلك. خذي حذرك إنك لم تشربي بالقدر الذي يعوقك عن القيادة ؟ "

- " بالتاكيد لا ! تصبحين على خير . وحظا طيبا في " يورك " .. واسمحي لحماتك ان تدللك كما يحلو لها " .

قالت " اني" وهي تلوح لها :

- " سافعل ، مع السلامة "

وكانت امسية جميلة . المروج الداكنة تمتد مترامية وراء القرية ، تحت السماء الصافية ، والنجوم تلمع فيها شاهقة الارتفاع . ودخلت الكوخ البارد ، وكومت الهدايا على منضدة في غرفة المعيشة .

كانت قد عملت بعض الزينات ، واقامت شجرة عيد ميلاد صغيرة ، ولكن ما من شيء يمكنه ان يخفي ما عليه الكوخ من فراغ ، في تناقض صارخ مع حيوية اليوم الذي قضته في المسكن السعيد لـ " اني" . هذا هو المغزى الحقيقي لعيد الميلاد . ان يكون المرء مع من يحب . "

لو ان " جريف" اتيح له ان يرى البهجة في وجه طفلة صغيرة حينما تفتح الجورب الذي علقته بجوار سريرها في المساء ممتلئا بالهدايا في الصباح ، او شاهد اجتماعا بين اهل واحبة حول كعكة عيد الميلاد،

لما اصبح بهذا التشاؤم.

ولكنه لم تتح له فرصة ، وانقبض قلبها إشفاقا على الصبي الذي كان يحلم بالشهرة ، وحينما حققها وجد نفسه اكثر وحدة . واتجهت إلى حيث تحتفظ بالتسجيلات الغنائية ، واخرجت البومها المفضل . يشرق وجه صاحبه على الأرضية الداكنة .

واختارت اغنية ادارتها . وملأت الموسيقى الغرفة وهي تثير الشجن ثم جاء صوت "جريف" الحزين ، قريبا من قلبها . وبدأت خطواتها تتحرك في إنسيابية مع الأنغام ، وهي تترنم بكلمات الأغنية الحبيبة إليها ، عن رجل يتظاهر بالقوة ليخفي ما يشعر به من الوحدة ويدافع انفعال مفاجئ ، اخذت تجمع الأوراق المبهجة التي كانت تغلف الهدايا، وجرت صاعدة إلى اعلى ، حيث يرقد الكلب ذو الفراء الغزير ، ولفته لفة انيقة ، ثم اخرجت كعكة عيد ميلاد صغيرة كانت "اني" قد اعطتها لها ، ملحة عليها ان تاكلها في اليوم التالي .

والقت نظرة سريعة على صورتها في المراة . كان رداؤها جديدا . ايضا من الصوف الجيرسيه الناعم بلونه الأزرق الحائل المفضل عندها والمحتشم تماما ، بياقة دائرية عالية وكمين طويلين . أحبته بمجرد ان رأته ، فقد كانت تفصيلته تظهر جمال قوامها النحيل ، واخذت نفسا عميقا ، ثم اتجهت لسيارتها .

بالتاكيد قد يكون في الفراش ، او مشغولا في الاستوديو يعمل في فيلم ، ومن اشد الأشياء غباء ان يخرج من هذا لفكرة طائشة.امثل هذه الدمية المضحكة - لرجل مثل " جريف"؟ لابد انها فقدت عقلها . وانتابها شعور بالتراجع وهي في منتصف الطريق ، وبدأت بالفعل تستدير بسيارتها .إلا انها عادت وقررت ان تترك الأمر في يد القدر . فإذا ما وجدت الأضواء مطفأة في المنزل ، فستعود ادراجها .

وكان هناك ضوء في آخر نافذة إلى يسار الباب .

وأوقفت سيارتها عند الشرفة، واخذت نفسا عميقا . إنها غرفة الكتب والبيانو، وتبتعد كثيرا عن الباب ، وقد لا يسمع طرقها . ولو لم يجبها وهي تعد إلى المائة ، فستعود راجعة إلى منزلها .

وفتح الباب وهي في العد الثامن والتسعين .

وكان واضحا انه لم يلق بالا لمناسبة اعياد الميلاد ، فقد كان مرتديا بنطلونا قديما من الجينز ، و"سويتر" بلون ازرق فاتح برقبة مفتوحة ، رفع كماه إلى ما فوق المرفقين ونظر إليها في دهشة :

- " روز" ! ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت بحق السماء ؟ "

ومدت يديها له بالهدية ، وقالت بانفاس لاهثة :

- " كريسماس سعيد " .

وبدت الحيرة على وجهه وهو يتناول اللفافة ، وسالها:

- " ما هذا ؟ " وقربها لاذنه وهزها .

فقالت :

- " افتح تر ، إنها ليست شيئا كبيرا ... مجرد اني احببتها ، واعتقدت انك قد تحبها مثلي ؟ "

وكانت ابتسامة غاية في الدفء بالنسبة لرجل بارد مثله ، وفتح الباب على اقصى اتساعه وقال :

- " تفضلي بالدخول " .

وقالت لتخفي عصبيتها :

- "لقد احضرت عشاء ايضاً ". لماذا جاءت ؟ بالتاكيد لقد فقدت عقلها.

- " شكرا لك "

- " لقد نسيت أن أحضر زبدة البراندي " .

- " إذن فلنر ما لدينا في الثلاجة ."

وتبعته ، وفمها جاف ، وساقاها تضطربان . وقادها إلى مطبخ ضخم ، على هيئة قبو ، سقفه على هيئة قوس محمل على اعمدة

سميكة ، اما التجهيزات فكانت ابعد ما تكون عن القدم " .

- " مرحبا بك في مملكة "جانيتا" . "

- " اوه .. هل ستسمح هي لي باستخدامه ؟ "

- " طالما لا تحس هي.لابد من غسل كل شيء ووضعه في مكانه بالضبط . والآن ، ماذا نحتاج ؟ "

- " زبدة قد قلت ؟ "

- " وسكر ، من الأفضل سكر مثلج ، وبرتقالة إن وجد ، وشراب بطبيعة الحال"

- " صح " . وبدا يبحث في المطبخ كطفل شقي ، ولم تتمالك نفسها من الضحك واعلن :

- " هاك ، وسانهب لإحضار الشراب " .

و ما إن تركت بمفردها في المطبخ ، حتى طردت عن ذهنها اي تساؤل حول وجودها في ذلك المكان وخلعت معطفها ، وانهمكت في تجهيز عشاء عيد الميلاد وعاد "جريف" بالشراب ، ثم جلس على كرسي قبالتها، مرتكنا بذقنه على راحته . ثم غمس إصبعا في الإناء الذي تخلط فيه خليطها ، وسحب يده بسرعة ليتفادى ضربة من يدها وتذوق ما علق بإصبعه ، وزام قائلا :

- " لذيذ ! "

وفاحت الرائحة المغرية بعد نضج ما صنعت ، فاستنشق باستحسان ثم قال : - " سنتناول هذا في الطابق الأعلى " .

وحملا عشاءهما وما يحتاجانه من ادوات المطبخ ، وصعدا إلى غرفة الموسيقى وكانت النار متاججة في المدفاة - لقد دخلت هذه الغرفة مرتين ، وفي كل مرة قبلها . ورمقها بنظرة متسائلة ، فتقدمت في عصبية وقالت :

- " والآن ، عليك أن تضيء عصيدة عيد الميلاد ، حتى يمكنك أن تقول

امنيتك"

- " آه ! أوليس المفروض أن تطفا الأنوار كذلك ؟ "

- " نـ .. نعم ، اعتقد ذلك " . ولم تعد ساقاها تقويان على حملها ، فجلست على السجادة امام المدفاة " .

واطفا "جريف" الأنوار حتى لم يعد في الغرفة سوى ضوء النيران ، وتقدم لها بزجاجة من الشراب . وصب كاسين ، ثم اغرق العصيدة بالشراب ، وهمس لها :

- " ماذا اتمنى ؟ "

- " اي شيء تحب "

- " اي شيء ؟" وضاقت عيناه وهو يقول :

- " إذن اتمنى ... "

- " كلا ، ليس بصوت مرتفع ، وعليك الانتظار قليلا "

- " آه ، فهمت " .

وبكل وقار ، اشعل عودا من الثقاب قربه من الشراب ، فامسكت به النار على الفور ، واخذ لهيبه الأزرق يتراقص كجنيات الاساطير " .

وما إن خمدت النار ، حتى رفع كاسه لها ، وهمس في صوت متاثر بالعرفان والحب .

- " كريسماس سعيد " وجاوبته :

- " كريسماس سعيد " .

وقالت تذكره :

- " إنك لم تفتح هديتك بعد " فابتسم وهو يلتقطها ، وقال في اسف:

- " لم احضر لك اي شيء " فردت بصوت يفيض رقة :

- " لا يهم ذلك ، فلم اكن اتوقع مقابلا لها . "

وخيم تاثير عبارتها بينهما برهة من الزمن ، إلى ان قطعت "روز" الصمت بالتحرك لقطع عصيدة الكريسماس

www.elromancia.com

وفض "جريف" اللفافة ، وامسك بالكلب كثير الزغب بين يديه ، وقال بإعجاب:

- "عظيم ، عظيم ! ؛ وغلبت عليه لهجة "كاليفورنيا" وهو يقول :

- "بالذكاء يا صديقتي ، إنه انسب ما يناسبني ، لا يخلف وراءه آثارا على سجاجيدي"

إنه ينبح ، ضعه على الأرض وصفق له"

وفعل كما قالت ، واطلق الكلب نباحه الحاد المتواصل ، وانفجر "جريف" بالضحك ، وصفق ليسكته ، ثم اخذ يلاعبه تصفيقا .

وقال :

- "لم يحدث أن اهدى إلي احد شيئا كهذا" فابتلعت ريقها وقالت :

- "إنك لم تذق العصيدة بعد" .

واخذا ياكلان في صمت ، و"روز" خافضة عينيها ، رافعة عن راسها اية افكار . وقطع الصمت بسؤاله :

- "اين كنت طوال اليوم ؟"

- "لدى عائلة" اني "؟"

وهزت راسها .

وقال :

- "إنه رداء جميل ، محتشم ، والازرق يليق عليك ." فابتسمت بصعوبة وهي تجيبه :

- "شكرا"

وارتفعت حواجبه في دهشة :

- "ماذا ؟ لا اعتراض ، لا ذكر لبقع النمش ؟"

قالت :

- "لقد خفت كثيرا الآن ."

- "وا اسفاه ، لكم كنت احبها" .

وابتسمت في خجل .

ومرت الليلة كحلم بينهما ، شاركته وهو يضع اللمسات الاخيرة للحنه الذي كان مشغولا بإنهائه ، وانتشت روحها وهو يترنم بكلماته، واصابعه تنساب على مفاتيح البيانو .

حينما تستبد بك الوحدة ، وتمر بك الليالي باردة مظلمة .

لو كانت لك كنوز الأرض ، بماذا يفيدك الذهب ؟"

ثم ظهرت لي ، ولم تكوني تعرفين من انا ،

ولمست يدك ، فاستحلت لهيبا امام عيناي ."

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهمست :

- "إنها رائعة"

فمد يده لتمسك بيدها وقال :

- "وكذلك انت ، سنكمله معا في الغد" .

ولكن مع حلول الصباح التالي ، نسيت الاغنية .

www.elromancia.com

الفصل العاشر

في الصباح التالي ، دخل عليها بالفطور ، وقال :

- " غذاء للجسم ، وغذاء للعقل ، الفطور ، وجرائد الصباح ، فلنر ما حدث في العالم من وراء ظهرينا " .

وتثاءبت ، والتقطت جريدة في تكاسل ، تمر ببصرها على اخبارها الخفيفة ، حتى لا تثقل ذهنها في هذه الساعة المبكرة من اليوم ، وكانت اغلبها عن احتفالات الكريسماس ، وراس السنة وبرامج العائلة المالكة فيهما ، وما يزمع إقامته من أوبرات شعبية ، وغير ذلك

وقلبت الصفحة ، فصدرت عنها شهقة خفيفة . " ستيفي " تتطلع إليها بابتسامة خلابة ، بجوار رجل وسيم ، متشابكي الأيدي ، وتحت الصورة .. الخبر " زواج العام الجديد "

ونظر إليها "جريف" متسائلا ، ولما لم تجبه تناول الصحيفة . ورات كيف تغيرت ملامحه وسمعته يلعن هامسا ، ثم القى بالصحيفة

جانبا، وهب قائلا :

- "آسف يا "روز" علي ان أسافر إلى لوس انجلوس فورا ، لأوقف هذه المهزلة " .

ورفعت رأسها ، وقالت بابتسامة دون معنى :

- " بالتاكيد "

وتوقف مترددا ، ثم قال :

- " انظري ، إنني آسف ، فالوقت اضيق من ان اشرح لك ... "

فقالت وهي تجاهد للحفاظ على اي قدر من الشعور بالكرامة :

- " لا عليك ، إنني متفهمة الموقف "

إنها تفهم جيدا أسباب انفعاله .

وسالها بكل حنان :

- " هل ستكونين على ما يرام ؟ "

واجبرت نفسها على ضحكة خفيفة :

- " بالتاكيد . ثم إنه وقت ذهابي إلى كوخي ، فلا يمكن ان اتركه في هذا البرد القارس لمدة طويلة ، إنك لا تريد للمواسير ان تتجمد مرة اخرى ، ثم إن احدا إذا لم يجدني فيه ، فقد يرسلون الفرق للبحث عني في المروج "

وضحك ملء شدقيه ، وقال :

- " حسنا إذن ، اراك بعد عودتي " .

- " بالتاكيد " .

وكان على عجلة من امره ، ولذا فقد كان وداعهما سريعا ، وركبت سيارتها ، ولكنها لم تدر كيف تمكنت من قيادتها للكوخ .

وكان الكوخ باردا ، فارغا ، ليس فيه حتى القطة لترحب بها .

وصعدت على الفور إلى الطابق الأعلى ، وخلعت رداءها الأزرق ، وعلقته في الدولاب بكل عناية ، ثم ارتدت ملابسها البيتية واندست

www.elromancia.com

على الفور بين اغطية الفراش الباردة ، وسحبتها إلى رأسها كحيوان صغير دلف للبيات الشتوي في الشتاء القارس .

وظلت تبكي يومين متواصلين ، حتى عادت عيناها وكانهما غسلتا بحمض لاذع ، وانهد جسدها من السقم . إن هناك امرا مؤكدا بالنسبة لها ، لا يمكن ان تكون هنا حين يعود "جريف" مصطحبا "ستيفي" .

وفي اليوم الثالث ، زحفت هابطة إلى الطابق الأرضي ، وطلبت "توم اوسبورن" واجبرت نفسها على الابتسام حين رفعت السماعة ، وقالت في مرح مصطنع :

- " اهلا ، إياك ان تقول انني لا افي بوعودي " .

- " روز" ما الامر ؟ "

- " إذا لم تجهز العقد اليوم ، فاعتبر انك خسرت الكوخ " .

- " ماذا ؟ ولكن لا يمكن ، هناك إجراءات كثيرة ...

- " دعك من هذا يا " توم" . إن كل الأوراق لديك ، فانت الذي توليت تحويل الملكية لي بعد وفاة والدي ، وتعرف من الأمر كل مداخله ومخارجه كما يقولون "

- " بكل تاكيد ، ولكن .. هل انت متاكدة يا " روز" ، الست مندفعة في قرارك، وقد تندمين في المستقبل "

- " اوه "توم" ، كف عن تصرفات المحامين ، إنني افكر في الأمر منذ عهد بعيد ، وقد اتخذت قراري الآن ، وانت تعرفني ، ما إن اتخذ قرارا ، لا اتراجع عنه " .

وسادت فترة صمت ، ثم قال :

- " حسنا ، إذا كنت واثقة تماما من قرارك ، فساقوم بصياغة المستندات ، واحضر بها عصر اليوم عندك " .

- " عظيم ! "

ولم تكن في نيتها ان تخبر " انيّ" حتى تنتهي من كافة الإجراءات ،

ولكن بعد عشر دقائق من مكالمتها مع "توم" ، وجدتها تطلبها تليفونيا ، وتقول بلامقدمات:

- " " روز" ، ماذا تفعلين بحق السماء ؟ " لقد اخبرني "توم " انك تبيعين كوخك "

- " هذا حق " .

- " ولكن فيم العجلة ؟ اين تذهبين ؟ "

- " لندن "

- " ماذا ؟ متى قررت ذلك ؟ "

- " لقد كنت افكر في الأمر من مدة ، حتى وصلت في النهاية إلي قراري ان اقوم بالمباداة ، قبل ان يتملكني الجبن ، واجد نفسي ادور في روتيني التقليدي في تكاسل مرة اخرى " .

وكانت تنتقي كلماتها بعناية ، تختار ما يعكس فكر " انيّ" نفسها ، وردت عليها :

- " حسنا ، ولكن .. لا اظنك ترحلين دون المرور للوداع " .

وكان هذا ما ستفعله فعلا ، ولكن العبارة المليئة بدفء المشاعر غيرت قلبها ، فقالت على الفور :

- " كلا بالتاكيد "

- " تحضرين للعشاء ؟ "

- " حسنا ، ولكني لن ارحل لكوكب آخر ، إنها سويعات من لندن إلى هنا ، وساتردد عليكم حتى انك لن تدركي انني قد انتقلت من بيتكم .

وماإن استقرت على الثمن المطلوب مع "توم" واستامنته على إتمام بقية الإجراءات حتى شدت رحالها في صباح اليوم التالي ، ولم يكن معها الكثير لتحمله ، حقيبة ملابس ، وبضعة صناديق من النثريات - كتب ، أوراق ، و ما اشبه ، والكمبيوتر في تغليفه الأصلي .

كانت امسية رأس السنة ، ولم ينقطع هطول المطر طوال سفرها

www.elromancia.com

خلال المراعي ، ولم يكن لديها اية فكرة عن مكان تذهب إليه ، وطرقات ماسحات الزجاج الأمامي تدق في رتابة كئيبة والسيارة تنهب الطريق ميلا بعد ميل .

لم تكن تريد ان تقيم لدى "شيلي" . كانت تريد أن تكون بمفردها ، وجها غير معروف يتوه في شوارع لندن ، ووجدت مكانا مثاليا ، نزل نكرة في شارع نكرة وسط بعض من النزلاء لا ملامح لهم ، وطاقم خدمة مؤدب ادبا روتينيا .

ولم يلاحظ احد من النزلاء ان المقيمة في الحجرة رقم ثمانية ليست إلا إنسانا آليا روبوت أحمر الشعر يعمل بانتظام تام ، تستيقظ في الصباح في وقت معقول ، تاكل ما يوضع امامها من طعام ، ثم تتجول محملقة في نوافذ عرض المحلات إلى ان تتوه في الزحام ، ثم تستقل سيارة اجرة عائدة لمسكنها .

وبالكاد كانت تحس بمرور الزمن ، تقلب كل يوم صفحات جريدتها بلا اي انتباه لما يقع عليه بصرها ، حتى حظها ، ثم تنحيها جانبا ، وعلى وجهها تعبير غريب ، وكانها تبحث عن شيء ما لم تجده .

كان في المنزل صالة في الدور الأرضي ، بها تليفزيون ملون ، كانت الروبوت تجلس إليه كل مساء ، حتى ينتهي الإرسال ، وكان يبدو أن اهتمامها هو هو ، وسواء بالنسبة للاخبار الرياضية ، او افلام هتشكوك .

وكانت امسية ليوم جمعة - ربما بعد ثلاثة اسابيع من إقامتها بلندن ، مضى اليوم ككل يوم ، وها هي تجلس في نهايته امام الشاشة الصغيرة ،تحملق فيها في بلاهة . وكان برنامجا عن موسيقى البوب ، باخر صيحات التكنولوجيا واضواء الليزر .

وتجمدت فجاة للوجه الحبيب لقلبها . هذه الملامح الصارمة ، وهذه العيون الداكنة . وحملقت في الشاشة وضربات قلبها تتسارع ،

وتقلصت يداها على مسند مقعدها . وكان مقدم البرنامج يقول :

- " ضيفنا القادم غني عن التعريف ، مهاجر حديث نسبيا لبلادنا ، اقنعناه اخيرا بالظهور في برنامجنا ، جوردان ... اهلا بك " .

وابتسم وهو جالس في استرخاء.. وكان مسيطرا بالكامل على عالمه.

- " هل من الممكن ان تعرف الموقف الحالي بينك وبين شريكك السابق، "بروس نلسون" ؟

وبدا انه يدير السؤال في عقله ، واجاب :

- " لقد كنت اشك منذ فترة طويلة انه يتلاعب بشروط الشركة التي كانت بيننا، والأمر الآن بين يدي القضاء ، ويؤسفني اشد الاسف ان يتطور الأمر بيننا بهذه الصورة ، فبروس كان صديقا لي منذ سنوات طويلة ، ورغم ما ثار بيننا من خلافات ، فلا اكن له اية مشاعر سيئة " .

لقد كان سياسيا بارعا ، لو لم تكن " روز" تعرفه حق المعرفة ، لما عرفت انه يكذب ، حتى مع ما ذكره لها عن شريكه السابق " بروس نلسون" ... وعبست ، تحاول ان تتذكر الاسم . الم يكن هو الذي جاء اسمه مقرونا بـ " ستيفي " في موضوع زواجهما ؟

وكانت كلمات المذيع التالية تؤكد كلامها " منذ ان فسخت " ستيفي ريفز " خطبتها وعادت من امريكا ..... "

وشعرت "روز" بالدموع الساخنة تتجمع في عينيها . إذن فقد فسخت الخطبة .. امر لم يكن هناك بد منه .

" ... هناك الكثير من الاقاويل " .

ورفع "جريف" حاجبا في تساؤل بارد ، واكمل المذيع :

- " تنتشر الإشاعات حول اجراس عرس قادمة " وضحك .

وابتسم "جريف" ابتسامة باهتة ، وهز راسه :

- " إن بيني وبين "ستيفي ريفز" علاقة عمل وطيدة ، واكن لها

احتراما لموهبتها . ولكن ، إذا استعملنا العبارات الدارجة في مثل هذه المواقف ..فإننا لسنا إلا أصدقاء " .

إنه يكذب بالتاكيد في ذلك .. إنه يحافظ دائما على سرية حياته بصورة صارمة .

- " هل لديكما خطط لألبوم جديد ؟ "

- " نعم ، وهي الآن تستجم بعد رحلتها الشاقة من امريكا ، ولكنا نامل ان نبدا في وضع اللمسات الأولية بعد اسابيع قليلة . "

- " وسيكون التسجيل في الاستوديو الخاص بك في "يوركشاير ؟ "

- " بالتاكيد " .

- " وماذا عن خططك المستقبلة ؟ " والآن ، بعد ان اشتريت منزلا لك في يوركشاير ، هل تنوي الاستقرار فيه نهائيا ؟ "

وهز راسه :

- " نعم ، فانا اعشق انجلترا ، ولدي ثروة من الأصدقاء بها . وكان هذا الكريسماس ، على ما اظن ، أجمل كريسماس قضيته في حياتي "

واعتدلت "روز" بحدة :

- " ما هذا الذي يقول ؟ "

وابتسم المذيع ، وهو يقترب من إنهاء المقابلة :

- " واغنيتك التي سوف تقدمها لنا الآن ، هل هي من المجموعة الجديدة لـ"ستيفي ريفز" ؟ "

- " لا ، هذه الاغنية ليست للتسجيل " ونهض مبتسما ، وتوجه إلى البيانو الضخم الناصع البياض ، ثم واجه الكاميرا :

- " هذه القطعة لا عنوان لها ، إنها غير محتاجة لذلك "

وبينما الكاميرا الثانية تقترب من اصابعه التي تنساب على مفاتيح البيانو ، كاد قلب "روز" يتوقف عن الخفقان ، فقد بدات انغام الأغنية التي اسمعها إياها ، وقال إنه كتبها لها لتداعب اذنيها ، وذلك الصوت

العذب يعطي كل كلمة فيها سحرا - نفس الكلمات التي شدا بها لها في حجرة الموسيقى .

" حينما تستبد بك الوحدة ، وتمر بك الليالي باردة مظلمة .

لو كانت لك كنوز الأرض ، بماذا يفيدك الذهب ؟

ثم ظهرت لي ، ولم تكوني تعرفين من انا .

ولمست يدك . فاستحلت لهيبا امام عيني " .

وتجاذبت الأنغام مع طلاوة الكلمات وعذوبة الصوت :

" ولكن منذ غبت عني عادت الليالي باردة .

أريد قلبك العطوف ليزيل عني الألم

عودي إليّ سيدتي ، أرجوك لا تغيبي ،

فلست اقوى ، كما تعلمين على الانتظار يوما آخر "

وحبست انفاسها وهي تنخرط في بكاء صامت .

" لم تسالني شيئا ، اعطيتني بلا مقابل

لم يفعل ذلك احد لي من قبل

كان يجب أن أصرح بحبي ، ولكنه الكبر الملعون

ولكني أريدك الآن بجانبي "

واقتربت الكاميرا من وجهه ببطء ، واقتحمت عيناه ذات القوة المغناطيسية عينيها ، وهو يواصل الشدو :

" لأنك منذ غبت عادت الليالي باردة .

أريد قلبك العطوف ليزيل عني الألم .

عودي إلي سيدتي ، أرجوك لا تغيبي .

فلست اقوى ، كما تعلمين ، على الانتظار يوما آخر "

وانهمرت الدموع مدرارا .

" اسمعيني سيدتي ، لقد تصرفت بكل برود .

www.elromancia.com

والعن نفسي يوم كنت بهذا الغباء .

أسف ان جرحت مشاعرك ، لم يكن ذلك قصدي .

لقد عرفت الآن انني احببتك منذ البداية "

إنه يدعوها ، يدعوها لتعود إليه ، إنه يغني لها وحدها

ولم يلحظها احد وهي تنهض ، وتغادر الصالة في هدوء ، وابدى مدير المنزل اقل قدر من الدهشة لمغادرتها في هذا الوقت المتاخر ، وحياها بابتسامة عريضة حين لم تجادل في كشف حسابها ، وتمنى لها الخير .

واعادت ما حملته معها من يوركشاير إلى سيارتها مرة اخرى ، وانطلقت على الطريق السريع ، لم تعبا بالتوقف حتى لفنجان من القهوة ، وكانت الساعة قد قاربت الثانية صباحا حين وصلت "ارنبي بريدج"

لم يكن في ذهنها اي شيء تقوله ، ماذا لو كانت مخطئة ؟ وان الامر لا يعدو اغنية جميلة كتبها ؟ اليست هذه مهنته، ان يكتب الاغاني المتدفقة بالعاطفة ، ويجعل كل امراة تعتقد انه كتبها لها وحدها ؟ ربما كانت تضع نفسها موضع السخرية، وقررت إذا لم تجد انوارا بالمنزل، ان تعود ادراجها .

ولكن ما إن وصلت إليه ، حتى وجدت الضوء ينبعث من اخر غرفة على يسار الباب . وقفز قلبها إلى حلقها وهي توقف السيارة ، وتهبط منها متجهة للباب . لم يزل امامها الوقت لتستدير وتعود بسرعة .

واخذت تطرق الباب بشدة ، وساقاها بالكاد تحملانها . تشعر كانها تساق للإعدام . واضيئت انوار الصالة ، ثم فتح الباب . واخذت تتلعثم قائلة :

- " اهلا .. إني .. "

وقبل ان تكمل ، كان قد احتواها بين ذراعيه ،ودفن وجهه في شعرها

وهو يقول في صوت ابح :

- " كنت اخشى الا تعودي ، لم اكن اعلم اين اجدك "

وواصلت تعلثمها :

- " لقد رايتك في التليفزيون "

- " كنت اتمنى ان تفعلي ، لماذا اختفيت بهذا الشكل ؟ لم اصدق ذلك حينما عدت "

- " لقد تصورت انك اسرعت لتوقف زواج " ستيفي "

- " ماذا ؟ ولماذا افعل ؟ لقد اهمني ان تتخلى عن التزاماتها التعاقدية معي ، واسرعت اوقف اية محاولة محتملة لذلك من شريكي السابق "

- " لقد تصورت ذلك .. لما بينكما من حب " .

ونظر إليها في دهشة حقيقية ، ثم قال :

- " اتعلمين ، بالنسبة لامراة ذكية ، تبدين احيانا في منتهى الغباء "

- " كلا ، لست كذلك ، إنها في منتهى الجمال "

- " وكذا ثعبان المرجان "

ورغم التكتم ، علمت وسائل الإعلام بصورة ما بعزمهما على الزواج، كان "جريف" يشك في مسجل العقود المحلي ، اما "روز" فكان شكها متجها لـ"ستيفي ريفز" ، تحاول ان تفسد عليهما زواجهما الهادئ الذي رتباه ، ولكن "جريف" تفادى المشكلة بكل براعة .

وتلفتت حواليها بعصبية في الكنيسة الصغيرة ، التي ناسبت تماما العدد الصغير المدعو للحفل . وكانت انوار الشموع تتراقص على الجدران وبقية الكنيسة غارقة في الظلام . وكل صوت يتردد بطريقة غريبة على جدرانها . كان الزفاف بعد انتصاف الليل بقليل ، وكل مندوبي الإعلام في سبات عميق .

وسالت "آني" في اضطراب :

www.elromancia.com

- " هل ابدو بصورة طيبة ؟ "

واكدت لها صديقة عمرها انها في ابهى صورة ، وهي تمسح بيدها على ردائها من الساتان عاجي اللون ، وتثبت مشبك إحدى الزهرات الرقيقة التي تثبت الخمار في مكانه ، وقالت لها :

- " تقدمي "

واعطاها "بول" ، المتانق في حلة رمادية ، ذراعه قائلا :

- " اني" على حق ، لقد ازدهرت بصورة ملحوظة خلال الأسابيع الماضية".

وابتسمت له "روز" في سعادة ، لم يعد يصيبها الارتباك للمجاملات، فهي تنظر لنفسها الآن بعينين مختلفتين ، عيني "جريف " الذي تقدم بجوارها إلى المذبح . وشعرت بقلبها يتدفق بالمشاعر وهو ينظر إليها مبتسما ، لقد انهت كل قلقها ومخاوفها في الأسابيع الماضية ، إذ ايقنت انه ما من واحدة من صاحبات الأوجه الفاتنة اللائي كن يحطن به في دنياه الموسيقية كانت تعني شيئا بالنسبة له . لقد كان يحبها هي .

وتحركت البطة القبيحة كبجعة ، واثقة في سماحة ورضا ، ومد "جريف" يده ليضعها في يدها ، وبدات حفلة الزفاف .

(تمت بحمد الله)